مجلة تذكارية

عدد: Issue No: 106

حزيران June 2016

نور يسوع المسيح

Φ Ω Σ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

أُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ

أَلْصُّعُودُ الْمُقَدَّسُ

وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ

محتويات العدد

2	أعظم المكاسب
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
4	شفاء المولود الأعمى للقديس يوحنا الذهبي الفم
6	قداسة الكاهن للقديس يوحنا الذهبي الفم
7	عن أدب الكلام للقديس باسيليوس الكبير
8	انا فيهم وانت فِيَّ لآباء الكنيسة العِظَام
11	خُطبة لعيد الصعود للقس روبيل الدُنيسري
12	عمل الروح القدس للقديس غريغوريوس اللاّهوتي
15	القديس نكتاريوس العجائبي
16	جُزنا بالنار والماء للقديس باييسيوس الآثوسي
18	تابوت العهد القديس كيرلّس الاسكندري
20	إعرف نفسك للقديس غريغوريوس النيصي
22	العظات الثماني عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي
23	الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور
الغلاف الأخير	العهد القديم ... (٨٩)

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة

في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

حَقَّقت الروائيّة الأمريكيَّة (**جريس ميتاليوس**) *(Grace Metalious)* شهرة عظيمة في عالم الأدب غيَّرت حياتها بالكامل.

وحقَّقت ربحًا عظيمًا أدخلها في **دائرة المليونيرات**. ولكن تغيَّرتِ الأحوال وانشغلت بالنجاح، وأهملت بيتها وزوجها وأولادها. **ودَبَّ الخِلافُ** بينها وبين زوجها، **وانفصلا**.

وتزوَّجت الكاتبة بعد ذلك أكثر من مرَّة، لكنها لم تُوَفَّق في زواجها قَطُّ. **فأدمَنت على شُربِ الخمر**، وساءَت حالها حتى انتهت بموتٍ مُبكِّرٍ عن عُمرٍ يناهز الأربعين عامًا (١٩٢٤/٩/٨ - ١٩٦٤/٢/٢٥).

لقد حقَّقت هذا الكاتبة نجاحًا كبيرًا ماديًّا وإعلاميًّا في حياتها، لكن هذا النجاح قَضَى على جميع أواصر العلاقة الأُسَريّة الحميمة التي كانت تجمع افراد العائلة.

فماذا يُسجل التاريخ لهذه النفس الإنسانية في سجلّات المكسب والخسارة ؟

إنَّ أفدح الخسائر هي أن يخسر الإنسان نفسه «لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ » (متى١٦: ٢٦).

إنَّ شَرَّ الكوارث أن يبيع الإنسان نفسه، لأنَّ نفسه أثمن من كُلّ كنوز الدنيا الزائلة أمام قيمة الخلود، والأبديّة السعيدة .

لكن الإنسان لا يعرف قيمة هذه النفس، وهو لذلك يعرضها للبيع مقابل أشياء زهيدة، يحسبها مكاسب ضخمة. وحينما يموت الإنسان يموت معه الثمن الذي باع به نفسه.

إنَّ **أعظم المكاسب** أن يربح الإنسان نفسه.

أعظم المكاسب هو أن يكتشف طريق الخلاص، ويسير فيه كُلّ أيام حياته.

إنَّ أعظم ما يمكن أن نسجّله في سجل أرباحنا هو الإيمان بأنَّ الله قادرٌ أن يخلّصنا، وأنه بالحبّ يَضُمُّنَا وَيَقْبلُنا في حضرته إلى أبدِ الدهور.

قال أحدهم:

أخشى .. أن أفقد الرؤيا وأَضِلّ الهدف وسط زحام الحياة.

أخشى .. أن تَمُرّ الأيام والسنون خاويةً دون نفع.

أخشى .. أن أعيش باحثًا .. وعاشقًا للسَّراب.

أخشى .. أن أفقد حُبِّي لمن حولي.

أخشى .. ضياعَ كلمةِ الأمل وفقدانَ معنى الرجاء.

أخشى .. أن يأتي اليوم الذي نُودِّع فيه جُثْمان (**القِيَم**) وَنُشَيِّعُ (**الأخلاق**).

أخشى .. ضياع الحب وفقدان العاطفة أمام جبروت المادّة.

أخشى .. أن تُصبح الحروب ألحانًا تعزفها الأمم. وتمسي المعارك سمفونيات يرقص على أنغامها أعداء السلام.

أخشى .. أن يأتي اليوم الذي لا أخشى فيه الربّ.

لماذا تُفْنِي عُمْرَك ساعيًا وراء مقتنيات الدنيا الفانية فلا يكفيك القليلُ، ولا يشبعكَ الكثيرُ.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد القديسَيْنِ العظيمَيْنِ قسطنطينَ وهيلانةَ المعادِلَي الرُّسُلَ

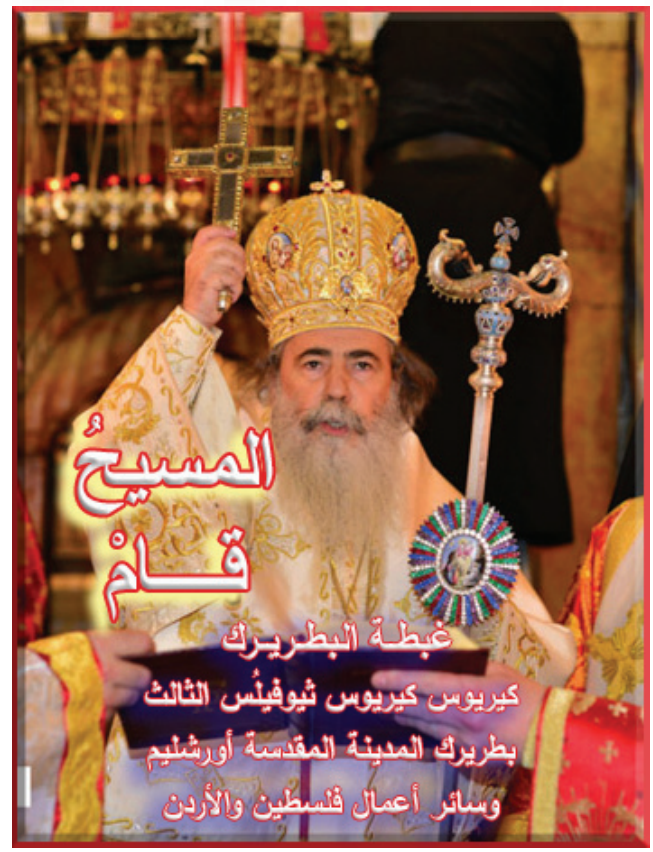

«إن الكنيسة تبتهجُ اليومَ بتذكاركَ المجيد الشريف. وتحتفلُ به ممتدحةً حقَ الامتداح، ومزدانةً بعزتك أيها الملك بزينةٍ رمزية وتَهتِفُ قائلةً : افرح يا من غار من بولس، فحملَ صليب المسيح وسحق فخاخ المقاوِم. افرح يا أفضل الملوك ومعادل الرسل في الكرامة . السلام عليك يا ركن المؤمنين، ومنارة الملوك. افرح يا مجد الأرثوذُكْسِيّين الروميّين يا قسطنطين المتوجُ من الله.» هذا ما يقوله مرنم الكنيسة.

أيها الآباء الأجِلّاءُ والاخوة المحترمون،

أيها المسيحيون الزوار الأتقياء،

تبتهج اليوم كنيسة أورشليم المقدسة، متممةً تذكار القديسَيْن المشرَّفَيْن المِلكَيْن العظيمَيْن المتوَّجَيْن من الله المعادلَيْ الرُّسل **قسطنطين وهيلانة** . وذلك لأن المِلكَينِ المتوجَين من الله قد برزا من جهة رُسُلًا للرُّوميَّة، ومن الجهة الأخرى مُشَيِّدَيْنِ للمزارات والأماكن المقدسة، أي الميلاد والصلب والقبر وقيامة إلهنا ومخلصنا، يسوع المسيح وباقي الأماكن الدينية الموقرة الشاهدة لسرّ التدبير الإلهي.

وأيضا قد أظهر هٰذان القديسان، عبدا الله، مُؤَسِّسَا طغمة المثقفين المقدسة، أي ما نعني به اليوم **أخوية القبر المقدس** والتي من خلال حضورها الأرضي الكنسي على مر العصور، تخدُم بعبادةٍ نعمة الروح القدس ، وتُحافظ بهيبةٍ ووقارٍ على شواهد التاريخ المقدس التي لا تُحصى، أي تاريخِ خلاصِ البشرية، وايماننا في المسيح المصلوب والناهض من القبر.

إن شواهد إيماننا هٰذه التي لا تعد ولا تُحصى ، والتي مَنَحَتْهَا لنا العناية الإلٰهية، تُشَكِّلُ إرثًا روحانيًا طبيعيًا لجنسنا الروميّ الأرثوذكْسِي التقيّ.

إن الأماكن المقدسة بشكلٍ عام، وأورشليم بشكلٍ خاص، تُحافظُ الى هذا اليوم على طابعها المسيحي، وهويتها الرُّوميَّة الأرثوذكسية. وهذا الفضلُ يعودُ كلّه إلى القديسَيْنِ المعادِلَي الرسلَ قسطنطين وهيلانة اللذين أبْدَيَا اهتمامًا شخصيًا بالقول والفعل على إزالةِ وتدمير الأوثان، وإنشاءِ المزارات المقدسة، وتدشين الهياكل الفائقة الروعة والجمال.

ومن الجدير بالذكر ما كتبهُ القديس قسطنطين في رسالته الى أسقف أورشليم (إيلياس) مكاريوس عن بناء هيكل القيامة، فيكتب القديس قسطنطين لهُ قائلا: ”أريد أن تعلم وتؤمن بأن هناك اهتمامًا بجميع الأماكن المقدسة، وبأمرٍ من الله سيتم إزالة جميع أرجاس الأوثان وتطهيرها. وعندها سأكون وكأنني قد تخلصت من حمل ثقيلٍ.“

ولهذا بحقٍ وعدلٍ، تكرم كنيستنا المقدسة القديس العظيم قسطنطين ووالدته، المعادِلَي الرسُلَ ، والذي مثل بولس قد حصَلَ على دعوة إلهية وليست بشرية.

ختامًا نتضرعُ إلى ملكنا وربنا يسوع المسيح، ومع المرنم نهتف قائلين: ”لقد أهّلت لملكوتك العلوي هيلانة القديسة وقسطنطين المعظم. اللذين زكيتهما قديمًا أيها الرب الملك الأزلي، غير المائت ليملكا على الأرض بحسن عبادة. وقد أحباك محبة خالصة. فبشفاعاتهما إرأف بنا جميعًا.“

المسيح قام، حقًا قام

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

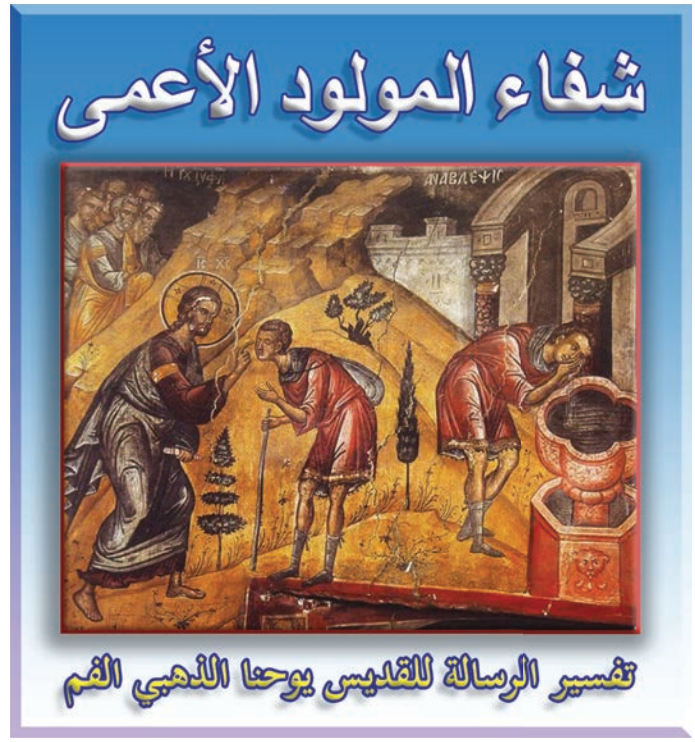

الرسالة

فصل من اعمال الرسُلِ القديسِينَ الاطهار (١٦:١٦-٣٤)

بولس يشفي فتاةً بها شيطان في فيلبي:

«في تلك الأيام، فيما نحن الرسل منطلقون إلى الصلاة، استقبلتْنا جاريةٌ بها روحُ عِرَافةٍ، وكانت تُكسِب مواليَها كَسْبًا جزيلًا بِعِرافَتِها(١) * فَطَفِقَتْ تمشي في إِثْرِ بولس وإِثْرِنَا وتصيح قائلةً: هؤلاء الرجال هم عبيدُ الله العليِّ وهم يُبشّرونكم بطريق الخلاص(٢)» (أع١٦:١٦-١٧).

عن سكنى الشيطان: حالة الإنسان الذي يسكنه الشيطان.

﴿حالة سُكنى الشيطان تختلف عن المرض النفسي. هي الحالة التي فيها يستخدم الروح الشرّير الانسانَ كمسكنٍ له. أي يدخل في كيانه الجسدي ***Psychosomatique***. يقول **القديس غريغوريوس پالاماس**: «يُعاني المريض المسكون من الشيطان أوّلًا في رأسه لأنّ الشيطان يستخدم كمركبة له الروح النفسي الموجود في الرأس ومنه يحاول أن يُسيْطرَ على الجسد»﴾

﴿الشيطان هو **شخص كيان** له **إرادته، اسمه، سلطانه، قدراته ومخططاته**. البعض يسكنه الشيطان بداعي تكبّرهم، والبعض الآخر لأسباب تربويّة. عندما يحصل لنا مثل هذا، فبدل أن نلجأ إلى **السَّحَرَةِ** الذين هم أداته؛ لِنَعُد إلى مُحرّر البَشَر، إلى المسيح «لأَجْلِ هذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ.» (١يو٣:٨)﴾

تفسير القديس يوحنا الذهبيّ الفم

لماذا كان الشيطان من جهة يقول كُلّ هذا، ومن جهة أخرى كان بولس يُمانعه؟ كان الشيطان يعمل في سبيل السُّوء، أمّا بولس فكان يتصرَّف بحكمة. لأنّ الرسول كان يجهد في **جعل الآخرين غير واثقين بالشيطان**. لو تَقبَّل بولس شهادة الشيطان لخدع هذا الأخير كثيرين من المؤمنين بناءً على شهادة بولس؛ لذلك احتمل أقواله بشأنه ليثبّت موقفه مُظهرًا نوعًا من التساهل نحو الهلاك.

لم يتقبَّل بولس منذ البداية الشهادة، بل أبدى لا مُبالاته بها حتى لا يهرب من إتمام العجيبة. لكن عندما أخذ الشيطان يعمل لأيام كثيرة مُظهرًا عمل الرُسل وقائلًا: «**هؤلاء الرجال هم عبيدُ الله العليّ وهم يُبشّرونكم بطريق الخلاص**» عندها أمَرَ الرسول الشيطان بأن يخرج.

«وصنعتْ ذلك أيامًا كثيرة، فتضجَّر بولس والتفت إلى الرُّوحِ وقال: إنِّي آمرُكَ باسم يسوع المسيح أن تخرج منها(٣)، فخرج في تلك الساعة * فلما رأى مواليها أنَّهُ قد خرج رجاءُ مكسبهم قبضوا على بولس وسيلا وجرُّوهما إلى السوق عند الحُكّام * وقدَّموهما إلى الولاة قائلين: إن هٰذين الرجُلين يُبلبِلان مدينتنا وهما يهوديَّان * ويُنادِيان بعاداتٍ لا يجوز لنا قبولها، ولا العمل بها إذ نحن رومانيُّون» (أع١٦:١٨-٢١).

ماذا يعني بالقول «ضجر بولس»؟ يعني أن الرسول فَهِمَ خُبث الشيطان وإرادته لعمل السُّوء كما يقول بولس نفسه في مكان آخر: « لِئَلاَّ يَطْمَعَ فِينَا الشَّيْطَانُ، لأَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ.(٢كور ٢:١١).

المال أصل الشُّرور في كلِّ مكان. يا لها في الوثنيّة من بشاعة إنسانيّة! كان مواليها يُريدون أن تبقى الفتاة تحت **سيطرة الشيطان** من أجل كسب مزيدٍ من المال.

لم يمسكوا بولس وسيلا قبل ذلك ولم يجرّوهما إلى الحُكّام. **لماذا؟ (لأنّهم الآن خسروا مالًا)**. من أجل ذلك فقط اعتبروا موقف بولس وسيلا خيانة عُظمَى ضدّ الدولة الرومانيّة وتشويهًا لليهوديّة.

يا لها من أمور متناقضة! يقوم الجمع عليهم، لم يُفحَص أمرهم، لم يُسمَح لهما بالكلام. بينما إذ حصلت مثل هذه العجيبة، كان يجب عليهم أن يسجدوا لبولس وسيلا ويعتبروهما مُحسِنَيْن. لماذا إذ تشاهدون مثل هذه الثروة **(موهبة إخراج الشياطين)**، ألا تركضون نحوهما؟ الأمر الذي جعل الرُسل أكثر بهاءً إذ كانوا قادرين أن يُخرجوا الشياطين بدل أن تُقْنِعْهُمَا **(الشياطين تُحاول إقناع بولس وسيلا بأنّها تَشهد لعمل البشارة)**. هذه هي العجائب التي لم تُفعَل بسبب محبّة المال.

أيُّها **الشيطان اللعين** طالما أنّك تعرف أنّهم: «يُنَادُونَ لَكُمْ بِطَرِيقِ الْخَلاَصِ» **لماذا لا تغيّر رأيك طوعًا؟**

لكن ما أراده **سيمون السَّاحر** قائلًا لبطرس ويوحنا: «أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضًا هذَا السُّلْطَانَ، حَتَّى أَيُّ مَنْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ يَدَيَّ يَقْبَلُ الرُّوحَ الْقُدُسَ» (أع٨:١٦). هذا بالضبط ما كان يفتّش عنه الرّوح الشرّير إذ رآهم ينجحون في كرازتهم أخذ يُنادي بهذا الكلام (١٦:١٧) آملًا أن يبقى في الجسد. لكن إن كان من جهة الإنسان: «لاَ يَجْمُلُ الْحَمْدُ فِي فَمِ الْخَاطِئِ» (سيراخ١٥:٩). **فكم بالأحرى يجب**

رَفْضُ مديح الشيطان؟ إن كان المسيح لا يقبل الشهادة من قِبَل الناس ولا من **يوحنا المعمدان** (يو٥: ٣٢-٣٦) فكم بالأحرى **يقبل مديحًا من شيطان، لأنّ البشارة ليست عملَ الناس بل هي عمل الرّوح القدس.**

قال مواليها: «**هذان الرجُلان يبلبلان مدينتنا**» (١٦: ٢٠) تُرى هل تؤمنون بما **يقوله الشيطان؟** الشيطان يقول: «**هم عبيد الله العليّ**» (١٦: ١٧)، وأنتم تقولون «**يبلبلان مدينتنا**».

الشيطان يقول: «**ينادون بطريق الخلاص**» (١٦: ١٧) وأنتم تقولون: «**يُنادِيان بعوائد لا يجوز لنا أن نقبلها**» (١٦: ٢١).

إنّهم بالحقيقة لا يصغون حتى إلى الشيطان لأنه لا يهمّهم **سوى المال.**

بولس وسيلا في السجن:

«**فقام عليهما الجمع معًا ومزّق الولاةُ ثيابهما وأمروا أن يُضْرَبَا بالعِصِيّ** (٤) * **ولمَّا أَثخنوهما بالجراح أَلقوهما في السجن وأَوْصَوا السجّان بأن يحرسهما بضبطٍ** » (أع١٦: ١٨-٢١).

أنظر كيف أنّ الرسولين لم يُجيبا ولم يُدَافِعَا عن نفسيهما هذا لكي يكونا مستحقّين أكثر للعجيبة لأنه يقول: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ ...لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ » (٢كور١٢: ٩-١٠).

لم يقولا لماذا ونحنُ نُبَشِّر بكلام الله لا يحفظنا الله من الأخطار؟ لأنّ الشِّدة جعلتهما أشَدَّ قوّة. «عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا» (رومية ٥: ٣). كان بولس يقوم بكلّ شيء بالعجائب والتعليم، لكن في الأخطار كان سيلا يشترك معه أيضًا.

لم يَقُل مواليها إنّ الرُسل أخرجوا الشيطان بسبب الجحود والابتعاد عن الله، بل اعتبروا الموضوع خيانة عُظمى. وهكذا استطاعوا أن يلقوا بولس وسيلا في السجن. كانوا يقولون الشيء نفسه فيما يختص المسيح: «لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلاَّ قَيْصَرَ! كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا يُقَاوِمُ قَيْصَرَ » (يوحنا١٩: ١٢).

رُبَّما تصرَّفَ الولاة هكذا لكي يتجنّبوا الفوضَى. بالضربات أرادوا أن يضعوا حدًّا لغضب الجمع، وبوضعهما بالسجن كانوا يريدون التحقّق في شأنهما.

«**وهو إذ أُوصِيَ بمثلِ تلك الوصيَّةِ ألقاهما في السجن الداخلي** (٥) **وضبط أرجلهما في المقطرة**» (أع ١٦: ٢٤).

أُنظر كيف أن حافظ السجن وضعهما في السجن الداخلي وهذا جاء بتدبير إلهي، لأنه كلّما كان الأَسْرُ أكثرَ قساوةً كانت العجيبة أكثر بهاءً.

لقد اُعتُبر المكان خارج المدينة (١٦: ١٣) مناسبًا كونه بعيدًا عن التجارب والأخطار. وكان يوم سبت يوم بطالة يتفرّغ فيه الناس للسماع. **عَلَّنا** نفتح نحن أيضًا آذان قلوبنا لسماع كلمة الله.

❋ ❋ ❋

«**وعند نصف الليل كان بولس وسيلا يُصلّيان ويسبّحان الله والمحبوسون يسمعونهما** * **فحدثت بغتةً زلزلةٌ عظيمةٌ حتى تزعزعت أُسُس السجن، فانفتحت في الحال الأبواب كلُّها وانفكّت قيود الجميع**» (أع١٦: ٢٥-٢٦).

كم كانت تلك النفوس جديرة بالحَمد: **جُلِدَا، نَالَا ضَرَباتٍ كثيرةً، أُهِينَا، عَانَيا حتى الموت، كانَا مُقيَّدَيْنِ بالمِقطرة، ومأسورَيْنِ في السجن الداخلي.** ومع ذلك كلّه لم يَهْدَآ بل أمضَيا الليلَ ساهِرَيْنِ وهما يسبّحان الله.

المقطرة : زمن الحكم الروماني

أرأيتَ كم كان الضِّيق مَدْعَاةً لخيرٍ عظيمٍ، **بينما نحنُ المنبسطين على فِراشٍ ناعمٍ نُمضِي الليل كلّه نيامًا ؟**

ربّما يعود سهرهما في الصلاة والتسبيح لأنّهما كانا في خِضَم هذه المصاعب. لم يسيطر عليهما ثِقل النوم، لم يعثرْهما الألم غير المحتمل، لم يحيّرهما ويضلّهما الخوف، بل على العكس كُلّ ذلك كان حافزًا لمنحهما مزيدًا من اليقظة، وكان يملأهما بهجة كبيرة. يقول: «**كانا يُصلّيان ويسبّحان الله والمحبوسون يسمعونهما**». لأنّ ذلك التصرّف كان يبدو لهم غريبًا ومتناقضًا.

وقَعت الزلزلة حتى يستيقظ السّجان، وانفتحت الأبواب حتى يتعجّب من الحَدَث. لكن المسجونين لم يروا الأبواب مفتوحة وإلّا لهَربوا كلّهم.

«**فلمَّا استيقظ السجَّان ورأى أبواب السجن انَّها مفتوحةٌ استلّ السيف وَهَمَّ أن يقتل نفسه لِظَنِّهِ أن المحبوسين قد هربوا** * **فناداهُ بولس بصوتٍ عالٍ قائلًا: لا تعمل بنفسك سوءًا فإنَّا جميعنا ههُنا**» (أع١٦: ٢٧-٢٨).

لقد أُعْجِبَ حافظ السجن بازدياد من محبّة بولس، ودُهِشَ من رجولته، إذ كان الرسول يستطيع أن يهرب ومع ذلك لم يفعل ذلك لأنّه خَشِيَ على السَّجان أن يقتل نفسه...

تذكّر بطرس في تلك الليلة بينما كان مربوطًا بسلسلتين (أع١٢: ٦ وما يلي). لقد ظهر له الملاك بتدبير ألهي حتى لا يرى أحد الحدث. وهكذا حدث هنا أيضًا تدبير إلهي آخر حتى لا يهرب المسجونون ويقتل السّجان نفسه.

ما وقَعَ من عجائب كان كافيًا من أجل إقناع السجّان، وما جذبه أكثر من العجيبة هو تصرّف الرسولَيْن من أجل خلاصه. لم يحصل الزلزال عن طريق الصُّدفة، بل كل ما جرى كان من تدبير الله من أجل خلاص البَشَر.

كان السجّان في حالة اضطراب شديد ودهشة ممّا جعله يفكّر بالانتحار. عندها رأى بولس مناسبًا أن يصرخ ويقول: «**لا تعمل**

بنفسك سوءًا فإنَّا جميعنا هٰهنا».

❁ «فطلب مصباحًا ووثب إلى داخل وخرَّ لبولس وسيلا وهو مرتعدٌ * ثم خرج بهما وقال: يا سَيِّدَيَّ، ماذا ينبغي لي أن أَصنع لكي أَخْلُصَ؟» (أع١٦: ٢٩-٣٠).

فطلب مصباحًا ووثب إلى داخل وخرَّ لبولس وسيلا وهو مرتعدٌ .

انتبه هنا كيف أنّ حافظ السجن قد أُخِذَ بالعجب. كان يتوسّل إلى بولس لا لأنّه خَلُصَ، بل لأنه كان دَهِشًا أمام قدرة الرسول العجيبة.

أرأيتَ ما جَرَى هنا وهناك؟ هناك تحرَّرت الجارية من **الرّوح الشرّير**، فألقوا بولس وسيلا في السجن لأنهما حرّراها من الشيطان. أمّا هنا فيرى السجّان الأبواب مفتوحةً، فتنفتح أبواب قلبه وتنحلّ قيودٌ مزدوجة، ويستضيء بذلك النور لأنّ النورَ داخل قلبه قد أُشعِلَ. فرَكَضَ وسجَدَ لبولس وسيلا. كيف وَقَعَ كُلّ ذلك؟ أو ماذا حَدَثَ؟ بل قال مباشرة: «**ماذا ينبغي لي أن أَصنع لكي أَخْلُصَ؟**» (١٦: ٣٠).

«**فقالا: آمنْ بالرب يسوع المسيح فتخلُص أنت وأهل بيتك * وكلَّماهُ هو وجميع من في بيته بكلمة الرب * فأخذهما في تلك الساعة من الليل وغسل جراحهما واعتمد من وقتِهِ هو وذووهُ أجمعون * ثمَّ أَصعدهما إلى بيته وقدَّم لهما مائدةً وابتهج مع جميع أهل بيتهِ إذ كان قد آمن بالله**».

غسّلهما مكافأة واكرامًا لِمَا قدَّما له من محبّة وخَلاص.

غسّلهما واغتسل هو نفسه. **غسّلهما من الجراحات واغتسل هو من خطاياه**. وكان ممتلئًا فَرَحًا هو وأهل بيته. هذا بعد مجرّد كلمات الرسولين ووعودهما. ممّا يُعطي بُرهانًا على إيمانه وعلى تحرّره من القيود كلّها. **تصوَّر! قساوة عمل السجّان وتوحّشه** ومع كل ذلك استقبلهما في بيته بكل إكرام. لم يبتهج لأنه خَلُصَ فقط؛ بل لأنّه «آمن بالله» (١٦: ٣٤).

١) لا يعتقد بولس بوجود آلهة العرّافين الوثنيين (١كو٨: ٤) لكنّه كان يعتقد بوجود أرواح شرّيرة تدفع الإنسان إلى طاعتها، كما هي الحال مع الجارية هذه (أع١٩: ١٣-٢٠)، (تثنية ١٨: ٩-١٤).

٢) هذه الشهادات تُذكّر بشهادات اخرى عن يسوع (مر١: ٢٤ ، ٣: ١١ ، لوقا ٤: ٤١) السيّد المسيح دائمًا يقاومها كما فعل بولس الرسول.

٣) هكذا اظهر بولس بالحقيقة درب الخلاص، محطّمًا قوّة الشيطان ومُلغيًا سطوته «لكي لا يُضِلّ الأمم» (رؤيا ٢٠: ٣) وذلك **باسم يسوع المسيح الذي بواسطته يحصل الخلاص**.

٤) يجري عِقاب الضّرب والمحكوم عليه عاريًا، لذلك كان مثل هذا العقاب مُهينًا لا ينطبق على المواطن الروماني، خاصة وأنه كان يُنَفَّذُ علانيّة. يكتب بولس إلى أهل تسالونيكي: «بل بعدما تألّمنا وأُهِنّا كما تعلمون في فيلبّي» ... (١ تسا ٢: ٢).

٥) السجن الداخلي هو غالبًا تحت سطح الأرض ولا يرى النّور (أفسافيوس *V 1:27*)

قَدَاسَةُ الكَاهِنِ

للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

يجب على الكاهن أن يكون قدّيسًا لأجل الوظيفة المؤتَمن عليها، أعني بما أنَّهُ مُوَزِّع الأسرار كما قال الرسول بولس إلى تلميذه تيطس: «لأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الأُسْقُفُ بِلاَ لَوْمٍ كَوَكِيلِ اللهِ، غَيْرَ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ، وَلاَ غَضُوبٍ» (تيطس١: ٧). ويقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: ﴿إنّ الكاهن هو الوسيط بين الله والطبيعة البشريّة ومن هنا يأتينا بالخيرات من لَدُنه تعالَى، ويُقَدِّم لهُ طَلِباتنا ويُسَكِّن غَضَبَهُ ويُنقذنا من بين يديهِ. فاللهُ يشرك المؤمنين في نِعَمِهِ بواسطة الكهنة

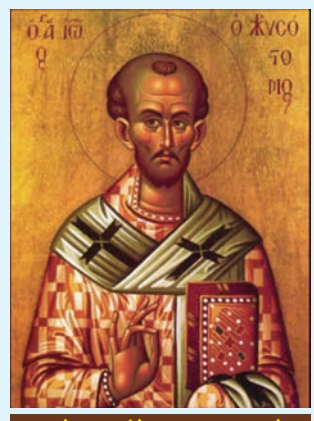

القديس يوحنا الذهبي الفم

موزِّعي أَسراره. وبواسطتهم يتبنَّاهم بالعُمّادِ المقدَّس الذي لا خلاصَ بدونهِ كقولهِ عزَّ وَجَلَّ. «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ» (يو٣: ٣). وبواسطتهم يشفي المرضَى ويُقيم الموتَى بالخطيئة، ويحييهم بالنعمة الإلهيّة بقوّة سِرّ التوبة المسلَّم لهم. وبواسطة الكهنة يُقيتُ الأنفُس، ويحفظ فيها حياة النعمة بقوّة سرّ الإفخارستيّا الذي لا حياة بدونه كقوله تعالَى: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ.» (يو٦: ٥٤). وبواسطتكم يهب الشجاعة للمدنّفين (**أي المُتْعَبين والمضنيّين**) عند ساعة الموت لكي ينتصروا على تجارب الجحيم بقوّة سرّ المَسحَةِ الأخيرة، وبالنتيجة يقول **الذهبيّ الفم**: انّنا لا نستطيع الخلاص بغير الكهنة.﴾

عن الأدب في الكلام
في الوداعة والحكمة والتواضع
للقديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة كبادوكية

† جيِّد أن نُميِّز «**الوقت**» الذي نتكلّم فيه والذي يجب الصمت فيه. لنتذكر قول الربّ يسوع المسيح: «وَيْلٌ لَكُمْ إِذَا قَالَ فِيكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ حَسَنًا... طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ.»

وقال **القديس أنبا بيمن**: «الكلام من أجل الله جيِّد، والسكوت أيضًا من أجل الله جيِّد».

(راجع رسالة القديس يعقوب أخي الرب إصحاح ٣).

† والذي نقوله يكون من أجل المنفعة. وأن نتكلّم عن الفضيلة، في الوقت الذي يجب – أو عندما نتكلّم من أجل ربح وبُنيان السامعين. وما سوى ذلك ينبغي أن نرفضه، إذا لم يَكُن فيه ربح، وهو خارج عن الحاجة.

يذكر **القديس باسيليوس الكبير** أن الإنسان سيُدان على كُلّ كلمة «بطّالة» كما قال السيّد المسيح. وهي في رأيه التي لا عمل لها ، وقال أيضًا: «**ما الفائدة إذا فعلت الفضائل، وقلتُ لأخي: يا أحمق!؟ فأستحق نار جهنم**».

† وينبغي للناسك ألّا يتأمّل (يفكّر) أو يميل قلبه إلى كلام الهزء.

† والذين تميل نفوسهم **للمزاح والضحك**، يحيدون عن كلام الحقّ المستقيم، وينحلون من الفكر الثابت العالي (التأمّل بالسماويات) ويسقطون في الكلام القبيح، ثمّ (يقعون) في حفرة الشرّ، لأنّ النفس لا يمكن أن تكون متيقظة فيما لله، وهي منشغلة بكلام الهزء والسخرية.

† واذا دعت الحاجة، لِنَقُل كلمة عزاء بلطف لكي نحلّ قليلًا من عبوسة وحزن من نخاطبه، ليخفّ ألم قلبه. وليكن كلامنا حينئذٍ مملوءًا نعمة وروحانيّة، مُتَبَّلًا بالملح الروحاني، لكي يُظهِر الكلام الذي نقوله رائحة بخور تدبيرنا الداخلي، المملوء حكمة.

† ويبهج قلب الذي نخاطبه من جهتين: من جهة راحة قلبه بما يجده من تخفيف حزنه، ومن جهة نعمة معاني الكلام الذي نقوله له.

في الوداعة:

† ينبغي للناسك (رجل الدين) أن يكون مملوءًا من الوداعة. مثل الروح القدس الوديع البسيط.

† واذا دَعت الحاجة الى أن ننتهر مَن يتوانى في وصايا الله، وخاصة إن كان تحت سلطاننا أو مُوَكَّلين به، فينبغي أن نتحفّظ بالمقدار الواجب، وأن نقرن الانتهار بالفكر (العلم) الذي يُرضي الله.

† فإنَّ القَتَلة يستعملون السكاكين في قطع أعضاء الناس، والأطباء هم أيضًا يستعملونها في ذلك، لكن القَتَلة يمسكونها بغضب وقلّة رحمة، ليعملوا بها أعمالًا مرذولة. وأمّا الأطباء فيمسكونها بخوفٍ وشفقة، ويستعملونها بفكرٍ صالح، ليعملوا بها (المشارط) أعمالًا (عمليات جراحية) نافعةً.

القديس باسيليوس الكبير

ملحوظة: المتضع يُصلِح دون أن يجرح، ويُقَلِّل من التوبيخ واللوم، والانتهار، بقدر الإمكان.

† فينبغي للذين يُريدون أن يُقيموا الوداعة (السلوك باتضاع) أن ينتهروا بمقدار، في الوقت الذي ينبغي، إذا دعت الحاجة اليه. فإنّ موسى النبي الذي شُهِدَ عنه أنه كان وديعًا (حليمًا) أكثر من جميع الناس الساكنين على الأرض، لما دعت الحاجة انتهر، وانزعج حتى أنه أمر بقتل بني إسرائيل بغير شفقة، في الوقت الذي صنعوا فيه **العجل وسجدوا له (عَبَدوه)**.

† أمّا أن يكون الإنسان وقت (الموقف الذي يوجب) الانتهار غير متحرّك (سلبي) بالجملة، فإنّ هذا ليس وداعة، بل هي رخاوة في الطبيعة! (الاتضاع لا يمنع الحزم والحسم، عندما يتطلّب الأمر ذلك).

بداية كل مِلْءٍ:

إنَّ بداية كل ملء نناله نحن المسيحيين عندما نؤمن بالمسيح، الله الكلمة المتجسِّد، هو أن نصبح أولاد الله: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُل، بَلْ مِنَ اللهِ.» (يو١: ١٢،١٣).

هذه أُولى بركات تجسُّد ابن الله الوحيد المملوء نعمةً وحقًّا، وهي أول ما يستقبله الإنسان المعتمد الذي يأتي إلى المعمودية وهو واعٍ لِمَا يأخذ؛ فإنه باستطاعته أن يصرخ شاهدًا بملء فِيه: « وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ.» (يو١: ١٦). فهذه هي شهادة جميع العابرين إلى **نور المسيح**، الذين اختبروا حلول الروح القدس فيهم لتجديدهم، بدفنهم مع المسيح بالمعمودية للموت، «حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ،..»، هكذا يسلكون هم أيضًا في حياتهم الجديدة معه (انظر رو٦: ٤).

إنهم من فرط الفرح الذي يملأ قلوبهم، والإحساس بالتجديد والتغيير الفعلي الذي شمل كل جوانب حياتهم، نجدهم يتَّفقون في التعبير عن اختبارهم العجيب، أنهم قد وُلدوا من جديد، وأنَّ روحًا شريرًا قد خرج منهم، واستقبلوا حياةً جديدةً وروحًا جديدًا في أعماقهم؛ وكأنه استجابة لقول داود النبي المُرنِّم: «قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اَللهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي أَحْشَائِي.» (مز ٥٠: ١٠).

أو كأنَّ لسان حالهم: «حَوَّلْتَ نَوْحِي إِلَى رَقْصٍ لِي. حَلَلْتَ مِسْحِي وَمَنْطَقْتَنِي فَرَحًا، لِكَيْ تَتَرَنَّمَ لَكَ رُوحِي وَلاَ تَسْكُتَ. يَا رَبُّ إِلهِي، إِلَى الأَبَدِ أَحْمَدُكَ.» (مز ٢٩: ١١،١٢)؛ «أَفْرَحُ وَأَبْتَهِجُ بِكَ. أُرَنِّمُ لِاسْمِكَ أَيُّهَا الْعَلِيُّ.» (مز ٩: ٢)؛ «حينئذٍ امتلأ فمنا فَرَحًا ولساننا تهليلًا» (مز ١٢٥: ٢ – حسب اليوناني)؛ «أُغَنِّي لِلرَّبِّ فِي حَيَاتِي. أُرَنِّمُ لإِلهِي مَا دُمْتُ مَوْجُودًا. فَيَلَذُّ لَهُ نَشِيدِي، وَأَنَا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ.» (مز ١٠٣: ٣٣،٣٤).

أو كأنه الفرح الذي ملأ قلب النبي إشعياء بالخلاص الذي استُعلِن له عن كنيسة العهد الجديد التي تزيَّنت كعروسٍ لعريسها: «فَرَحًا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِإِلهِي، لأَنَّهُ قَدْ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلاَصِ. كَسَانِي رِدَاءَ الْبِرِّ، مِثْلَ عَرِيسٍ يَتَزَيَّنُ بِعِمَامَةٍ، وَمِثْلَ عَرُوسٍ تَتَزَيَّنُ بِحُلِيِّهَا.» (إش ٦١: ١٠).

أو كأنه لسان حال **العذراء القديسة مريم** حينما طفقتْ تُسبِّح الربَّ الذي اختارها وحَلَّ بروحِهِ فيها، فانطلق فمها وقلبها مُهلِّلًا: «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي،لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي، لأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ، وَاسْمُهُ قُدُّوسٌ، وَرَحْمَتُهُ إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ.» (لو ١: ٤٦–٥٠).

والواقع أنَّ العذراء القديسة مريم هي مثال للبشرية كلها، لأن الآب الذي اختارها، والروح القدس الذي ظلَّلها، والابن الذي تنازَل وتجسَّد منها، كل هذا حدث لها من أجل أن ننال نحن سُكنى المسيح في وسطنا وفي قلوبنا: «لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ » (أف ٣: ١٧).

هذا الابتهاج بالخلاص الذي شَبَّهَهُ إشعياء النبي بلبس ثياب الخلاص، والاكتساء برداء البِرِّ، والتزيُّن بزينة العريس الذي يقترن بعروسه؛ إنما يُعلِن فرح مريم الْمُلْتَحِفَةِ بقوَّة العَلِيِّ، وحلول الروح القدس في أحشائها، التي حبلت عجائبيًا بابن الله، لكي تلد للعالم حَمَل الله الذي جاء ليرفع خطيئة العالم كله.

حياة المسيحي أيضًا تبدأ فعلًا حينما تحلُّ الكلمة في قلبه وفي ذهنه، وتدبُّ الحياة الحقيقية في روحه، كما دبَّتْ قبلًا في جسده حينما وُلد جسديًّا. إلاَّ أنه في ميلاده الروحاني بالمعمودية تُستعلَن له الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرَت لنا. ويمتلئ قلبه ولسانه بالفرح والتهليل للرب الذي وهبه حياةً جديدة، لأن «اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ.» (يو ٣: ٦).

هذا الروح الحيُّ المُحْيِي، هو روح الله القدوس الموجود فينا ومعنا، وهو نفسه الروح القدس الذي تقبَّلَته العذراء كنائبة عن البشرية، ووَلَدت مُخلِّص العالم: مجدًا لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرَّة.

مراحل المِلْءِ:

أولًا: «لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لاَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ.» (في ١: ٢٩):

على نفس خُطى العذراء، وبعد أن وُجِدَت حُبلَى من الروح القدس، توجَّس يوسف البار من جهتها، وأراد تخليتها سرًّا. ولكن، أرسل الله ملاكه ليوسف في حُلْم وطمأنه من جهتها، إلى أن ولدت ابنها البِكْر. ولم يكن هذا الميلاد سهلًا، **بل احتاج أسفارًا ورحلةً شاقة ومُعاناة لمريم العذراء في آلام مخاضها**، إلى أن وصلت إلى بيت لحم، الموضع المُحدَّد من الله لتضع فيه مولودها، ولم تجد إلَّا مذود البقر لتلد فيه **مُخلِّص العالم**. وهكذا منذ البداية تخلَّى الابن عن مجده، كما تخلَّى الآب عن ابنه، فلم يُهيِّئ له ما يليق به من مجدٍ على الأرض. ولكن السماء تهلَّلت وأعلنت لرعاةٍ ساهرين على حراسات الليل هذا الخبر المُفرح بميلاد المُخلِّص. فأذاع الرعاة الخبر وأخبروا بكل ما قيل لهم عن الصبي، «وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هذَا الْكَلاَمِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا.» (يو٢: ١٩). وما زال طريق الآلام مُمتدًّا أمام العذراء. فعندما جاءت بابنها إلى الهيكل لتُقدِّم ما أَمَرَ به الناموس من ذبائح عن كل ذَكَر فاتح رَحِمٍ لكونه يُدعَى قدُّوسًا للرب، «... أخذه (سمعان) على ذراعيه وبارَك الله وقال»: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. **نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ**». **وكان يوسف وأُمُّه يتعجَّبان مِمَّا قيل فيه**. وباركهما سمعان، وقال لمريم أُمِّه: «هَا إِنَّ هذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ.وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ، لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ» (لو ٢: ٢٨-٣٥).

ويُعلِّق على ذلك **القديس كيرللس الكبير** قائلًا:

[أمَّا "العلامة التي تُقاوَم"، فيُقصَد بها الصليب الثمين الذي يقول عنه بولس العظيم في حكمته: «لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً!» (١كو١: ٢٣). وأيضًا يقول عن كلمة الصليب: «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ،» (١كو١: ١٨). لذلك فالعلامة التي تُقاوَم، تبدو جهالة بالنسبة لأولئك الهالكين، بينما هي خلاص وحياة للذين يعرفون قوة الصليب].

وعلى نفس خُطَى العذراء التي قَبِلَت الله الكلمة في أحشائها وولدته مُخلِّصًا للعالم، ووُهب لها لا أن تؤمن به فقط، بل أن تتألَّم أيضًا لأجله، ويجوز في نفسها سيفٌ؛ هكذا نحن أيضًا الذين بدأ المسيح معنا كلنا مسيرة إيماننا منذ معموديتنا، فقد وُهِبَ لنا أن نتألَّم معه، ونحمل عار الصليب ونموت معه لنقوم أيضًا معه. فالمعمودية نفسها موتٌ ودفنٌ وقيامةٌ: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي.» (غل ٢: ٢٠).

ثانيًا: «انْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ» (١يو ٣: ١):

لم يكتفِ الله أن يُخلِّصنا من خطايانا بموت ابنه الوحيد فداءً لنا، لكي يردَّنا إلى رتبتنا الأولى، بل إنه قد أعطى نعمة البنوَّة لكل مَن آمن بموته وقيامته، واعتمد باسم الآب والابن والروح القدس: «الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ» (١بط١: ٣). إذن، فلم نَعُد بعد عبيدًا، بل أبناء بالتبنِّي: «ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: «يَا أَبَا الآبُ». إِذًا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ابْنًا، وَإِنْ كُنْتَ ابْنًا فَوَارِثٌ للهِ بِالْمَسِيحِ.» (غل ٤: ٦،٧). أما ميراثنا فهو الحياة الأبدية: «لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظٌ فِي السَّمَاوَاتِ لأَجْلِكُمْ» (١بط١: ٤)؛ وأيضًا: «قَدْ وَهَبَ (الله) لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ، لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ» (٢بط ١: ٤).

وفي هذا يقول **القديس إيرينيئوس**:

[فإنه لهذه الغاية قد صار الكلمة إنسانًا، وصار ابنُ الله ابنًا للإنسان لكي يتَّحد الإنسان بالكلمة، فينال التبنِّي ويصير ابنًا لله. فإننا لم نكن نستطيع بواسطةٍ أخرى أن نحصل على عدم الفساد والخلود، إلاَّ باتحادنا بالذي هو عدم الفساد والخلود...].

وفي هذا أيضًا يقول **القديس أثناسيوس الكبير**:

[هذه هي محبة الله للبشر أنَّ الذين هم أصلًا مجرَّد خلائق وهو خالقهم، قد صار لهم فيما بعد أبًا بحسب النعمة. وهذا يتحقَّق فيهم كلما قَبِلَ هؤلاء البشر المخلوقون "رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: «يَا أَبَا الآبُ»" كقول الرسول (غل ٤: ٦). هؤلاء هم الذين قبلوا اللوغوس، فأخذوا منه "سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ" (يو١: ١٢). فإنه لم يكن مُمكنًا بوسيلة أخرى أن يصيروا أبناء الله، بينما هم بحسب الطبيعة مجرَّد خلائق، إلَّا إذا قَبِلوا روح الابن الحقيقي الذي هو ابنٌ بحسب الطبيعة...].

وهذا ما عبَّر عنه القديس بولس الرسول: «لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ

نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ! وَلَيْسَ ذلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا بِاللهِ، بِرَبِّنَا ... اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟ » (رو ٥: ١٠؛ ٨: ٣٢).

ثالثًا:«إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ.» (أف ٤ : ١٣):

هذه هي الدرجة الثالثة من الامتلاء، ولكنها تستلزم منَّا أن نسلك كما يحقُّ للدعوة التي دُعينا إليها «بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ. مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ.» (أف٤: ٢).

فقبل أن يكشف لنا القديس بولس الرسول ما نحن مزمعون أن نحصل عليه من درجاتٍ فائقة من الامتلاء في المسيح على مستوى الفرد والجماعة، «إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ.»؛

وبعد أن ألمح لنا في الأصحاحات الأولى من رسالته إلى أهل أفسس: كيف أنَّ الله اختارنا في المسيح قبل تأسيس العالم لنكون قدِّيسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، ودعانا للتبنِّي في المسيح لنفسه حسب مسرَّة مشيئته، وكَشَفَ لنا سِرَّ مشيئته الخاصة أن يجمع كل شيء في المسيح، ونتأيَّد بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ونتأصَّل ونتأسَّس في المحبة حتى نُدرِك مع جميع القدِّيسين، ما هو العرض والطول والعُمق والعلو، ونعرف محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي نمتلئ إلى كلِّ مِلْءِ الله؛

بعد هذا كله، نجده يتوسَّل إلينا، كأسير في الرب، أن نسلك كما يحقُّ للدعوة التي دُعينا إليها:«كُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ. مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ. جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ.» (أف ٤: ٢-٦).

فدعوتنا التي دُعينا إليها هي أن نقتدي بالمسيح مثالنا وطريقنا وحياتنا، وقد قال لنا: «احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، **لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ**، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ.» (مت ١١: ٢٩). وإذا تعلَّمنا من المسيح وداعته وتواضعه، وأدركنا عمقهما الذي لا يُدرك غوره، فسوف ننال طول أناته، ونعرف احتماله ومحبته، فيسهل علينا أن نحفظ وحدانية الروح برباط الصُّلْح الكامل. وهذا يقودنا إلى تحقيق عمل الروح القدس فينا لنصير جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا، كما دُعينا في رجاء دعوتنا الواحد، إذ لنا ربٌّ واحد وإيمانٌ واحد ومعموديةٌ واحدة؛ وهكذا «إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ.» (أف٤:١٣). وهذه هي طلبة الرب يسوع وصلاته الأخيرة في ليلة تسليمه ذاته من أجل وحدتنا: « لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي....أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ» (يو ١٧: ٢١،٢٣).

وفي هذا يقول **القديس كيرللس الكبير**:

[كيف ينبغي أن نفهم القول القائل: «كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا... أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ»؟ لمَّا أراد كلمة الله أن يُقدِّم لجنس البشر عطية عُظمى وفائقة للطبيعة، أَخَذَ يجتذب الجميع إلى نوعٍ من الاتحاد بنفسه. فقد لَبِسَ الجسد البشري وبذلك صار داخلنا؛ ومن جهةٍ أخرى، فهو له الآب في ذاته لكونه كلمته الخاص وشعاعه. فكأنه يقول: ”كما أني أنا فيهم بسبب لبسي نفس الجسد الذي لهم، وأنت أيها الآب فيَّ بسبب كوني من جوهرك الخاص؛ هكذا أُريد أنهم هم أيضًا يرتبطون بنوعٍ من الاتحاد، حتى يصيروا متداخلين بعضهم في بعض وكأنهم صاروا جسدًا واحدًا، فيكونون جميعًا فيَّ، وكأني أحملهم جميعًا في هيكل (جسدي) الوحيد الذي اتَّخذته لنفسي. وهكذا يكونون ويظهرون مُكمَّلين. لأني أنا الكامل وقد صرتُ إنساناً“].

عن الكاهن – للقديس غريغوريوس اللّآهوتي

إنّ الكاهن يجب أن يتنظَّف أوَّلًا ثُمَّ يُنظِّف غيرهُ. وأن يقترب من الله ثُمَّ يقرّب الغير منهُ تعالَى. وأن يتقدَّس ثمَّ يُقدِّس الآخرين. وأن يكون نورًا ثمَّ يضيء على غيرِه. إنّ الذي لا يشتعل لا يمكنه ان يحرق!

خُطبة لعيد السُّلّاق (الصعود) للقس رويل الدُنَيْسَرى

أَلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي هَدَانَا إِلَى طَرِيقِ ٱلْهُدَى وَوَاضِحِ مِنْهَاجِهِ. وَفَتَحَ لَنَا بَابَ ٱلْمَلَكُوتِ بِإِقْلِيدِ (١) شَرْعِهِ ٱلْفَضْلِيِّ(٢) بَعْدَ إِغْلَاقِهِ وَإِرْتَاجِهِ (٣). وَثَقَّفَ نَوْعَنَا ٱلْبَشَرِيَّ بِٱلْأَوَامِرِ وَٱلنَّوَاهِي مِن زَيْغِهِ(٤) وَٱعْوِجَاجِهِ. وَقَادَهُ بِأَزِمَّةِ(٥) ٱلْعِنَايَةِ إِلَى ٱلْحَظَائِرِ ٱلْقُدْسِيَّةِ بَعْدَ إِبَاءَتِهِ وَلَجَاجِهِ(٦). وَأَرْسَلَ مُخَلِّصَ ٱلْكُلِّ ظَاهِرًا بِصُورَةِ ٱلنَّاسُوتِ لِإِبْرَاءِ جِبِلَّةِ آدَمَ وَعِلَاجِهِ. فَرَتَّبَ لَهُ مِنْ قَوَانِينِ شَرْعِهِ ٱلْاخْتِصَاصِيِّ دَوَاءً أَفْضَى إِلَى صِحَّتِهِ وَتَعْدِيلِ مِزَاجِهِ. وَشَرَّفَ مَفْرِقَهُ(٧) بِإِكْلِيلِ ٱلْمُلْكِ ٱلْأَبَدِيِّ وَتَاجِهِ. وَأَصْعَدَهُ سِرًّا إِلَى قِمَمِ ٱلسَّمَاءِ يَوْمَ سُلَّاقِهِ(٨) وَمِعْرَاجِهِ. نَحْمَدُهُ حَمْدًا تَقِدُ فِي ظَلْمَاءِ ٱلْقُلُوبِ أَضْوَاءُ سِرَاجِهِ. وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا تَزْهُو كَوَاكِبُ ٱلْإِخْلَاصِ فِي أُفْقِهِ وَأَبْرَاجِهِ.

أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِنَّ أَسْنَى ٱلْأَيَّامِ ٱلْعِظَامِ. وَأَبْهَى ٱلْمَوَاسِمِ وَأَحْلَى ٱلْمَوَاقِيتِ ٱلْكِرَامِ. ٱلَّتِي تَفْتَرُّ(٩) لَهَا ٱلْمَضَاحِكُ وَٱلْمَبَاسِمُ. عِيدٌ عَبَقَتْ بِأَرَجِهِ(١٠) ٱلرِّيَاحُ ٱلنَّوَاسِمُ. وَتَحَلَّتْ بِلَآلِئِ فَخْرِهِ ٱلْمَفَارِقُ وَٱلْمَنَاسِمُ(١١). يَوْمٌ خُتِمَتْ بِهِ مَعَاقِدُ ٱلْأَغْيَادِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ. وَسُلِّمَتْ قَوَاعِدُ ٱلْكَهَنُوتِ إِلَى ٱلزُّمَرِ ٱلسَّلِّيحِيَّةِ(١٢). يَوْمٌ رَقِيَتْ فِيهِ صَفْوَةُ ٱلْجِبِلَّةِ ٱلْبَشَرِيَّةِ إِلَى ٱلْمَحَلِّ ٱلشَّامِخِ. وَٱسْتَوْطَأَتْ(١٣) صَهْوَةَ(١٤) ٱلْعِزِّ ٱلْأَبَدِيِّ وَٱلْشَّرَفِ ٱلْبَاذِخِ. يَوْمٌ تَوَقَّلَ(١٥) مُخَلِّصُ ٱلْبَرَايَا أَشْمَخَ ٱلذُّرُوَاتِ ٱلْعَلِيَّةِ وَأَسْمَى ٱلْقُلَلِ ٱلْعَوَاصِمِ. هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلْعَظِيمُ وَٱلْمِيقَاتُ(١٦) ٱلنَّبِيهُ. وَٱلْعِيدُ ٱلَّذِي جَلَّتْ مَفَاخِرُهُ عَنِ ٱلنَّظَائِرِ وَٱلتَّشْبِيهِ. هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي أَشْرَقَ فِيهِ هِلَالُ ٱلْحَقِّ مِنْ سَدَفِ ٱلسِّرَارِ(١٧). وَتَحَلَّتْ فِيهِ نُحُورُ(١٨) ٱلْعَقَائِدِ بِقَلَائِدِ ٱلْأَسْرَارِ. هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي تَحَقَّقَتْ فِيهِ بَرَاهِينُ ٱلرَّجَاءِ. وَتَضَوَّعَتْ (١٩)بِبُشْرَى سُلَّاقِ ٱلْمَسِيحِ كُلُّ ٱلنَّوَاحِي وَٱلْأَرْجَاءِ. هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي رَأَتْهُ ٱلْأَبْصَارُ فِيهِ صَاعِدًا عَلَى ٱلْمَنَاكِبِ ٱلْأُكْرُوبِيَّةِ. وَلَمَحَتْهُ ٱلْأَفْكَارُ قَاعِدًا عَلَى مَنَصَّةِ ٱلرُّتَبِ ٱلْعَلِيَّةِ. هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي رَشَّ فِيهِ طَلَّ ٱلْخَيْرَاتِ مِنْ غَمَامِ مَعِينِهِ. وَأَمْطَرَ سَحَائِبَ ٱلْبَرَكَاتِ عَلَى ٱلْانْصَارِ مِنْ يُمْنِ يَمِينِهِ.

أَلْيَوْمَ فُتِحَتْ أَبْوَابُ مَدِينَةِ ٱلْأَطْهَارِ. نُضِيَتْ(٢٠) سُتُورُ(٢١) ٱلْاَسْرَارِ عَنْ بِيعَةِ ٱلْأَبْكَارِ. طَرِبَتْ مَلَائِكَةُ ٱلسَّمَاءِ بِرَئِيسِ ٱلْأَحْبَارِ. تَبَوَّأَ مَقْعَدَ ٱلْعِزِّ ٱلْأَبَدِيِّ عَلَى مِنْبَرِ ٱلْأَنْوَارِ. أَلْيَوْمَ بَرِحَتِ ٱلْأَسْرَارُ وَٱلْخَفَايَا. مُنِحَتِ ٱلْأَذْخَارُ(٢٢) وَٱلْعَطَايَا. صُفِحَتِ ٱلْأَوْزَارُ(٢٣) وَٱلْخَطَايَا. صَعِدَ ٱلْمَسِيحُ إِلَى ٱلْعَلَاءِ وَسَبَى ٱلسَّبَايَا. أَلْيَوْمَ أَفْلَتَ رَجَاءُ ٱلْأَحْيَاءِ وَٱلْأَمْوَاتِ. أُرْتِجَتْ(٢٤) أَرْجَاءُ ٱلسَّمَاوَاتِ. حُقَّ ٱلنَّجَاءُ(٢٥) لِذَوِي ٱلْخَطَايَا وَٱلْهَفَوَاتِ. وَٱسْتَغْفَرَ ٱلْمُخَلِّصُ لِأُمَّتِهِ كُلَّ ٱلْخَطَايَا وَٱلزَّلَّاتِ. أَلْيَوْمَ ٱنْحَسَرَتْ غُمَّةُ ٱلْعُبُودِيَّةِ. ٱكْتَأَبَتِ ٱلْأُمَّةُ ٱلْيَهُودِيَّةُ. صَحَّتِ ٱلْكَلِمَةُ ٱلدَّاوُودِيَّةُ. رَقِيَ ٱلْمَسِيحُ بِٱلْمَجْدِ وَأَصْوَاتِ ٱلْقُرُونِ(٢٦) إِلَى سُدَّةِ(٢٧) ٱلْأَبَدِيَّةِ. أَلْيَوْمَ أَخْفَقَتْ أَدِلَّةُ ٱلضَّلَالِ. أَشْرَقَتْ أَهِلَّةُ ٱلْإِقْبَالِ. أَوْرَقَتْ غُصُونُ ٱلْآمَالِ. رَقِيَتْ صُورَةُ آدَمَ مِنْ قَعْرِ ٱلْحَضِيضِ ٱلْأَوْهَدِ(٢٨) إِلَى ذُرُوَاتِ ٱلْكَمَالِ. أَلْيَوْمَ هَبَّتْ نَسَائِمُ ٱلرِّضَاءِ وَٱلِاخْتِصَاصِ. هَبَّتْ نَوَائِمُ(٢٩) آمَالِ ٱلتَّلَامِيذِ ٱلْخَوَاصِّ. أَلْيَوْمَ قَرَّتْ(٣٠) عُيُونُ ٱلْأَمْلَاكِ. تَشَرَّفَتْ مُتُونُ(٣١) ٱلْأَفْلَاكِ. سَكَنَ ٱلشَّوْقُ ٱلْآدَمِيُّ وَٱسْتَرَاحَ. مُلِئَتْ قُلُوبُ أَهْلِ ٱلسَّمَاءِ بِٱلْبَهْجَةِ وَٱلْأَفْرَاحِ. مَلَّكَ صَفْوَةَ جِنْسِهِ إِقْلِيمَ ٱلسَّمَاءِ. شُرِّفَ بِأَخَصِّ ٱلْأَلْقَابِ وَأَحْسَنِ ٱلْأَسْمَاءِ. رَقِيَتْ قِلَاعَتُهُ(٣٢) إِلَى قُلَّةِ ٱلسَّمَاءِ ٱلْعَلِيَّةِ. إِسْتَوْطَنَتْ أَرَائِكَ(٣٣) ٱلنُّورِ فِي قُصُورِ ٱلْأَزَلِيَّةِ. إِسْتَبْشَرَ سُكَّانُ ٱلصَّفِيحِ(٣٤) ٱلْأَعْلَى بِإِيَابِهِ. تَعَلَّقَتِ ٱلزُّمَرُ ٱلْمَلَائِكِيَّةُ بِذُيُولِهِ وَأَهْدَابِهِ. تَبَرَّكَتِ ٱلسَّمَاءُ بِوَطْءِ أَقْدَامِهِ. بَرَزَ ٱلْإِذْنُ مِنْ سُرَادِقِ(٣٥) ٱلْأَزَلِيَّةِ بِتَعْظِيمِهِ وَإِكْرَامِهِ. سُمِعَتْ ضَجَّةُ ٱلْمَلَائِكَةِ بِتَقْرِيضِهِ وَمَدِيحِهِ. تَعَالَتْ لَجَّةُ ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَى بِتَمْجِيدِهِ وَتَسْبِيحِهِ.

نَسْتَبْشِرُ نَحْنُ مَعَاشِرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِسُلَّاقِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ. نَتَقَبَّلُ بِأَصْنَافِ ٱلْمَلَائِكَةِ فِي ٱلسُّجُودِ وَٱلتَّسْبِيحِ. نَرْفَعُ ٱلْهِمَمَ عَنْ مَسَاقِطِ ٱلشَّهَوَاتِ ٱلْأَرْضِيَّةِ. نَقُودُ ٱلْقُلُوبَ بِأَزِمَّةِ(٣٦) ٱلْعَزَائِمِ إِلَى ٱلطَّرَائِقِ ٱلْمَرْضِيَّةِ. نَنْفُضُ عَنِ ٱلْأَبْدَانِ قُشُورَ ٱلْكَثَافَةِ. وَنُسَرْبِلُ ٱلْأَذْهَانَ بِنُورِ ٱللَّطَافَةِ. نَرْقَى إِلَى قُلَلِ ٱلْعُلَى بِأَقْدَامِ ٱلْفِكَرِ. وَنَلْحَظُ بِأَبْصَارِ ٱلنُّهَى مُخَلِّصَنَا ٱبْنَ ٱلْبَشَرِ. نَرَاهُ عَلَى سُدَّةِ ٱلنُّورِ جَالِسًا. وَبِٱلْحَضْرَةِ ٱلْقُدْسِيَّةِ مُسْتَأْنِسًا. وَفِي خُدُورِ ٱلنُّورِ مَزْفُوفًا. وَبِأَجْنَادِ ٱلسَّمَاءِ مَحْفُوفًا. نُكْتَنَفُ(٣٧) بِظِلِّهِ ٱلظَّلِيلِ ٱلْوَارِفِ(٣٨). وَنَشْكُرُ أَنْعُمَهُ ٱلتَّوَالِدَ وَٱلطَّوَارِفَ(٣٩). نَتَشَبَّثُ بِأَهْدَابِ أَثْوَابِهِ. وَنُلْصِقُ ٱلْخُدُودَ خَاضِعَةً عَلَى أَعْتَابِ أَبْوَابِهِ.

وَنَطْلُبُ مِنْ مَظَانِّ(٤٠) رَحْمَتِهِ. وَدِيوَانِ إِحْسَانِهِ وَرَأْفَتِهِ. أَنْ يُسْبِلَ سُتُورَ ٱلرِّضْوَانِ(٤١) عَلَى بَوَادِي عُيُوبِكُمْ. وَيُرْوِيَ بِمَاءِ ٱلْغُفْرَانِ صَوَادِيَ(٤٢) قُلُوبِكُمْ. وَيَجْعَلَ عُيُونَكُمْ بِٱلرُّؤْيَةِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ قَرِيرَةً(٤٣). وَقُلُوبَكُمْ بِأَنْوَارِ ٱلْبَهْجَةِ ٱلْعِيدِيَّةِ فَرِحَةً مُسْتَنِيرَةً. وَوُجُوهَكُمْ يَوْمَ فَيْئَتِهِ(٤٤) بَادِيَةَ ٱلسُّفُورِ(٤٥) مُشْرِقَةَ ٱلْوَضَاءِ(٤٦).وَمَصَابِيحَ أَعْمَالِكُمْ مُسْتَعِرَةً بِٱلْأَنْوَارِ زَاهِرَةَ ٱلْأَضْوَاءِ. وَلَا بَرِحَتْ غَمَائِمُ ٱلْبَرَكَاتِ عَلَيْكُمْ وَاكِفَةً(٤٧). وَنَسَائِمُ ٱلْخَيْرَاتِ مُتَتَابِعَةَ ٱلْهُبُوبِ مُتَرَادِفَةً(٤٨). وَأَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ لِدَعَوَاتِكُمْ مَفْتُوحَةً. وَخَطَايَاكُمْ وَآثَامُكُمْ بِٱلْعَفْوِ وَٱلْغُفْرَانِ مَصْفُوحَةً. وَإِذَا مَا آبَ مُخَلِّصُكُمْ مِنْ سَمَاءِ عِزَّتِهِ. وَأَشْرَقَ نُورُ لِوَائِهِ ٱلْأَزْهَرُ عَلَى أَشْخَاصِ أُمَّتِهِ. يَجْعَلُكُمْ مَعَ ٱلْأَصْفِيَاءِ فِي زُمْرَتِهِ. وَيُقْعِدُكُمْ عَلَى سُدَدِ ٱلنُّورِ مَعَ أَهْلِ ٱلِاصْطِفَاءِ عَنْ مَيْمَنَتِهِ. آمين

معاني المفردات في صفحة ١٧

عمل الرّوح القدس

للقديس غريغوريوس اللّآهوتي

أَكْرِمْ **يوم الرّوح** (يوم الخمسين) وأَمسِك لسانك عن الكلام قليلًا لو كان هذا ممكنًا. فالحديث اليوم هو عن **أَلْسِنَةٍ** أخرى إمَّا أن تُقَدِّرها أو تخاف منها وأيضًا تراها وقد نزلت مع النَّار (أع ٢: ٣ وما بعدها). لقد عمل الرّوح القدس في الآباء والأنبياء فمنهم مَنْ قد تخيَّل الله وعرفه، ومنهم مَنْ كان قادرًا على التنبؤ بما سيحدث، إذ كان الرّوح القدس، مطبوعًا في عقلهم فكانوا يعيشون المستقبل وكأنّه حاضر. لأن هذه هي قدرات الرّوح. ثمّ بعد ذلك عمل الرّوح القدس في تلاميذ المسيح. ودَعني أقول إنه كان مع المسيح، ليس كفاعلٍ فيه، لكن كمساوٍ له في الكرامة والمرافق له في كُلّ ما فَعَلَ.

ولقد كان عمل الرّوح القدس في التلاميذ بثلاثة اوجه بمقدار ما كان في طاقتهم أن يسعوه في أوقاتٍ ثلاثة: منها قَبلَ أن يتمجَّد المسيح بالآلام – وبعدَ تمجيده بالقيامة – وبعد صعوده إلى السموات، أو كما يُقال عند استعادته لكل شيء إلى الصَّواب.

ولقد اتضَّح هذا في أول معجزة شفاء وفي طرد الأرواح النجسة، والتي لم تكن تحدث إلَّا بعمل الرُّوح القدس.

وأيضًا نفخة الرّوح القدس بعد تمام التدبير، والتي كان من الواضح أن فيها عملًا إلهيًا قويًا، وما نحتفل به اليوم من نزول ألسنة النَّار المنقسمة على كل واحدٍ من التلاميذ.

إلَّا أنه في الحالة الأولى كان حقيقيًا وكان الثاني أوضح، أما اليوم فهو بشكلٍ أَتَمَّ من كُلّ مَرَّة، وهذا ليس لأنه حاضر بفعلِهِ، كما كان من قَبل لكن – كما يمكن أن يُقال – إنه حاضر حسب جوهره معنا لكي يعضدنا. ولأن الابن كان لابدّ أن يخاطبنا جسديًا لذا فقد ظَهَرَ في الجسد. ولما صعد المسيح، حَلَّ الرّوح علينا، ومع أَنَّهُ أتى كَرَبٍّ إلَّا أنه أُرسِلَ ليس كبديلٍ لله. لأنّ هذه الأسماء توضَّح بالأكثر الوحدة وليس التقسيم في الطبيعة.

لأجل هذا جاء الرّوح بعد أن صعد المسيح كي لا نفتقد المعزّي. ولقد قال المسيح إنه سيُرسِل «مُعزِّيًا آخَرَ» كي تتذكر أنت أنّ الرّوح هو مساوٍ في الكرامة للمسيح. لأن كلمة «آخَرَ» معناها أنّه «آخر» مساوٍ لي (أي للمسيح). لأني أعرف إن كلمة «آخَرَ» تُقال ليس عمَّنْ هو غريب ومختلف، لكن عمَّنْ له الجوهر نفسه.

ولقد حَلَّ الرّوح على هيئة ألسنة، لِتَشَابُهِ عمله بعمل الكلمة؛ ونتساءل لماذا كانت هذه الألسنة تشبه النّار (أع ٢: ٣...الخ). ونقول: كَي يُطَهِّر. لأننا نعرف خاصيّة النار في التطهير، أو بسبب (خاصية) جوهر الرّوح، لأنّ إلهنا نارٌ ونارٌ آكلة لكل الشرور.

ونقول عن الرّوح: إنّه إله حتى لو كان هذا الكلام مزعجًا للبعضِ بسبب القول إنَّ الرّوح واحد في الجوهر (مع الآب والإبن).

وأمّا أَنَّ الألسنة كانت منقسمة فذلك كان لاختلاف المواهب، وكونها كانت مستقرّة فذلك بسبب مصدرها الملوكي، وأنها لابدّ أن تستريح فوق رؤوس القديسين مثلما يستقرّ الله في عرشه الذي يحمله الشاروبيم (إش ٣٧: ١٦). أمّا سبب حدوث ذلك بالعلِّية (أع ٢: ٢) (إن لم أكن متجاوزًا في الكلام)، فبسبب السمّو الرّوحانيّ لِمَن كانوا سيقبلونه وعلّوهم عن الأرضيين، لأن بعض العلالي (جمع عليّة) مبنيّة على مياه إلهية فيها يُسَبَّح الله (مز ١٠٣: ٣). كما أن المسيح نفسه في علّية قد أسّس السرّ، مع هؤلاء الذين كانوا مزمعين أن يخدموا الأمور الفائقة.

(وقد كان حلوله بهذا الشكل) كي يثبت أنه ينبغي أن يأتي الرَّبُّ إلينا، كما حدث في القديم مع موسى (في العليقة: خر ٣: ٢)، كما نعرف، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كي نرتقي نحن، وهكذا تتم الشَركة بين الله والإنسان بآمتزاج الرتبة (أي يصبح ابن الله ابنًا للإنسان كي يصير ابن الإنسان ابنًا لله).

لأنه طالما ظَلَّ كُلٌّ منهما فيما يخصه، أحدهما في **رِفعته** والآخر في **مذَلَّته**، فلا مجال للاشتراك في الصَّلاح ولا تفعيل لمحبة البَشر، بل ستكون هناك هُوَّةٌ سحيقة بين الطَرَفَيْن لا سبيل لعبورها، والتي لم تمنع فقط الغني من أن يقترب من أَلعازر ومن أحضان إبراهيم (لو ١٦: ٢٦)، بل وأيضًا تلك **الطبيعة المخلوقة والفاسدة** من أن تقترب من **الطبيعة غير المخلوقة وغير الفاسدة**.

وهذا هو الرّوح الذي نادى به الأنبياء كما قيل: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ..»، وأيضًا: «وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ.» (إش ١١: ٢) ، «وَنَزَلَ رُوحُ الرَّبِّ وَقَادَهُمْ» (إش ٦٣: ١٤).

كما أنَّ الرّوح أرشَد بصلئيل ﴿**بتصليئيل بن أوري من سبط يهوذا בְּצַלְאֵל בֶּן אוּרִי**﴾ لبناء الخيمة (خر٣٥: ٣٠ وما بعدها). كما أنه هو الرّوح الذي حزن (إش٦٣: ١٠)، والرّوح هو الذي أَصْعَدَ **إيليا** مع مركبته وهو الذي طلب من **إليشع** نَصِيبَيْنِ (٢ملوك٢: ٩). وهو روح الصَّلاح والمشورة الذي اعتمد عليه داود وقاد طريقه (مز٥٠: ١٠). ولقد سَبَقَ الرّوح فوَعَدَ قديمًا على لسان **يوئيل** قائلًا: « وَيَكُونُ بَعْدَ ذلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى.»(يوئيل ٢: ٨) .. إلى آخر النبوءة، ثم بعد ذلك ما قاله المسيح عن الرّوح: «ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ.» (يو١٦: ١٤). مثلما يحدث أيضًا مع الآب والابن اللذين يُمَجِّد كلاهما الآخر (يو٨: ٥٤).

ولأن الوعد (بالمعزّي) هو **بِفَيْضٍ** لذا فسوف يستمرّ وسيبقى إلى الأبد (يو١٤: ١٦-١٧). سواء الآن مع أولئك الذين يحيون في قداسة، أو بعد ذلك مع مَنْ سيستحقون الحياة الأبديّة، وذلك إن نحنُ تمسَّكنا به ليس فقط في كل سيرتنا، بل وأيضًا إن لم نطرحه بعيدًا **بكثرة خطايانا**.

والرّوح القدس هو شريك مع الابن في الخَلق والقيامة، كما هو مكتوب:«بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا.» (مز٣٢: ٦) ﴿يرى آباء الكنيسة أن **نسمة فيه** هي تعبير عن **الرّوح القدس**﴾. وأيضًا يقول أيوب: «رُوحُ اللهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي.» (أيوب٣٣: ٤). وفي موضع آخر يقول: «تُرْسِلُ رُوحَكَ فَتُخْلَقُ، وَتُجَدِّدُ وَجْهَ الأَرْضِ.» (مز١٠٣: ٣٠).

والرّوح القدس هو الذي يحقّق الميلاد الثاني، وذلك لأنه لا يمكن أن يرى أحد ملكوت السموات، أي أن يصل إليه إن لم يكن قد وُلِدَ من فوق بالرّوح (يو٣: ٥)، وإن لم يكن قد **تَطَهَّرَ** من بقايا الميلاد الجسدي الذي هو رأس أسرار الليل (أنظر يو٣: ١ يشير القديس غريغوريوس اللاهوتي بهذا إلى مقابلة نيقوديموس للمسيح ليلًا وحديثه عن الميلاد الجسدي). بأن يقتني كُلٌّ منا نور النهار السَّاطع.

والرّوح القدس كُليّ الحكمة ومُحبٌّ للبشر جِدًّا، فإن تعهَّد راعيًا فإنّه يجعله مُنشدًا للمزامير وطاردًا للأرواح النجسة، بل ويقيمه مَلِكًا لإسرائيل (١ملوك ١٦: ١٢). وإن أخذ راعيًا للغنم وجامعًا لثمر التُّوت، فإنّه يجعله نبيًّا، مثلما فعل في داود (١صم١١ :١٦-١٣) وعاموس (عاموس ١: ١). وإن تعهَّد غُلامًا ذكيًّا فإنه يجعله أكثر حكمة من الشيوخ بالرغم من حداثة سِنّه، كما حدث مع دانيال (دانيال ١: ١٩-٢٣) الذي انتصر وهو في جُبٍّ للأسود. وإن وَجَدَ الرّوح صيّادين، فإنه يصطادهم لحساب **المسيح** جاعلًا إيّاهم

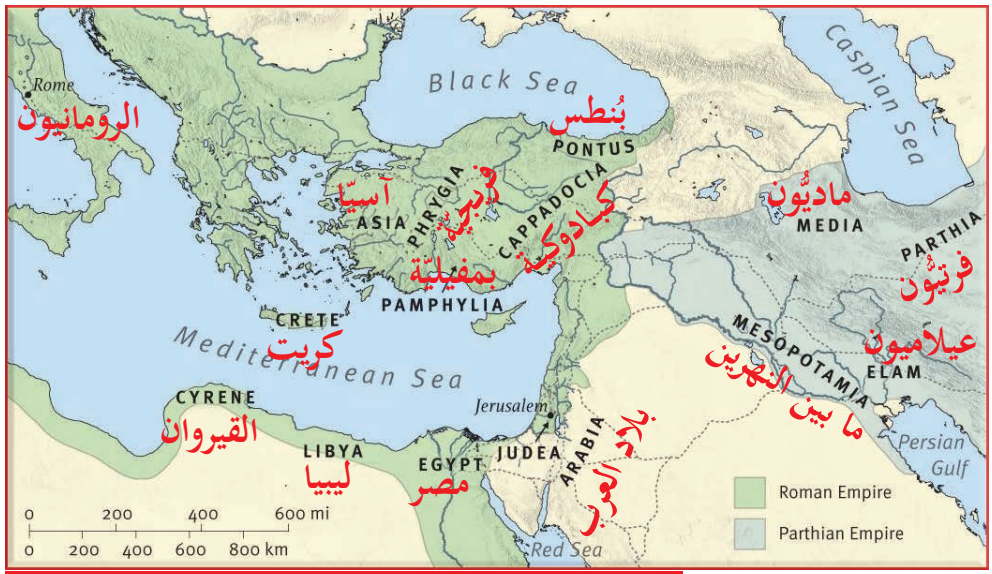

الشعوب التي نطق الرسل بألسنتها في عيد العنصرة

صيّادين للعالم بقوّة الكلمة. وكمثال على ذلك ما فعله في **بطرس واندراوس** (مت٤: ١٨) **وابني الرعد (يعقوب ويوحنا)** (مر٣: ١٧) الذين كرزوا كالرعدِ، بالرّوحانيات. وعندما يجد الرّوح عشّارين فإنّه يصنع منهم تلاميذَ له ويجعلهم تجارًا للنفوس مثل **مَتَّى** الذي كان بالأمس جابيًا للأموال وصار اليوم بشيرًا (متى ٩: ٩). وإن تعهَّد مضطهدين متحمّسين حَوَّلَهم إلى «**بولس**» بدل «**شاول**»، واهبًا إيّاهم حياة تقوَى بقدر ما كانوا يرتكبون من خطايا (أع٨: ٣).

هذا هو الرّوح كُلّي الوداعة، **والمُحتَدّ على الخطأة** فيا ليتنا نتمتّع بوداعته ونتجَنَّب حِدَّته معترفين بمكانته، هاربين من التجديف عليه. فلا نُؤْثِرُ أن نراه محتدًا لدرجة عدم الغفران (مت ١٢: ٣١).

لقد تكلَّم (الرسل) بألسنة مختلفة (أع٢: ٤) عن ألسنة آبائهم، والمعجزة عظيمة إذ أنهم تكلّموا بلغةٍ لم يتعلّموها، والآية هنا لغير المؤمنين وليست للمؤمنين. وما حدث فيه إدانة لغير المؤمنين كما هو مكتوب: «إِنِّي بِذَوِي أَلْسِنَةٍ أُخْرَى وَبِشِفَاهٍ أُخْرَى سَأُكَلِّمُ هذَا الشَّعْبَ، وَلاَ هكَذَا يَسْمَعُونَ لِي، يَقُولُ الرَّبُّ » (١كو١٤: ٢١ و إش٢٨: ١١ و تثنية٢٨: ٤٩).

يقول الكتاب:«فَلَمَّا صَارَ هذَا الصَّوْتُ، اجْتَمَعَ الْجُمْهُورُ وَتَحَيَّرُوا،لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ كَانَ يَسْمَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَتِهِ.» (أع٢: ٦). إذن توقّف قليلًا هنا ولنسأل كيف يمكن أن نفهم المكتوب لأنه يوجد في هذه الجملة ما يميّزها. فهل كُلّ واحد كان يسمع كلامًا بلغته، حيث يمكننا القول بإنّه مع أن الرسل كانوا يتكلّمون لغة واحدة، إلّا أن ما حمله الهواء، ووصل إلى أسماع الجمهور كان عدّة لغات، ولكي أُوَضِّح أكثر أقول إنّ اللغة الواحدة صارت عدّة لغات؛ **أو** أن نقول إنّ الرسل قد تكلّموا بعدّة لغات غريبة بالنسبة لهم. وقد سمعها الحاضرون وفهمها كُلّ واحد منهم بحسب لُغَتِهِ؟

لأنّ المعجزة – في حالة الاحتمال الأولى – تكون قد حدثت مع السّامعين من الجمهور وليس مع الرسل الذين تكلّموا بلغةٍ واحدة. أمّا حسبَ ما نقول فإنّ المعجزة تكون قد حدثت مع

المتكلّمين والذين قد اتُّهِمُوا كذبًا بأنّهم سُكارى (أع٢: ١٥)، وهم الذين قد تكلّموا بإبهار بلغات عدّة، بوحيٍ من الرّوح القدس.

لقد كانت بلبلة الألسن في القديم أمرًا جديرًا بالتقدير، لأنه هكذا تبدّدت أهدافهم وتوقّف العمل. (عندما اتفق البَشَر على الخطيئة ومعاندة الله – **الأمر الذي يفعله الكثيرون اليوم** – وقرّروا بناء بُرج بابل) (تك١١: ١-٩). أمّا ما هو أجدَرُ بالتقدير فهو الأمر الذي يحدث الآن وبطريقة معجزيّة. إذ أنّ الرّوح القدس الذي حَلّ على الكثيرين، قد جعلهم يعملون في تناسق، وصار الفرق في المواهب محتاجًا إلى موهبة أخرى في تمييز الأفضَل، وإلّا فكلها لن تخلو من شيءٍ ممدوح. كما أنه يمكننا أن نصف الانقسام في الألسنة الذي يتحدّث عنه داود، أنه مفيد، إذ يقول: «أَهْلِكْ يَا رَبُّ، فَرِّقْ أَلْسِنَتَهُمْ، لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ ظُلْمًا وَخِصَامًا فِي الْمَدِينَةِ.» (مز ٥٤: ٩)، ولماذا؟ لأنّهم أحبّوا الكلام المُهلِك، واللسان الغاش (مز ٥١: ٣). ولو كان المرنّم معنا اليوم لأظهَر استياءَه وتكدّرَه منّا. ﴿ربما يقصد ألسنة الهراطقة التي كانت تنطق بالتعاليم الخاطئة بخصوص أقانيم الثالوث القدوس وأنها ليست واحدة في الجوهر، سواء كانت تعاليم الآريوسيّين الذين انكروا أُلوهيّة الابن أو محاربي الرّوح الذين أنكروا ألوهية الرّوح القدس﴾.

ولأنّ هذه الألسنة كانت تخاطب اليهود الأتقياء القاطنين في أورشليم، وفي بلاد الفُرس وأهل خُراسان ومن مصرَ وليبيا وكريت، ومن بلاد العرب ومن بلاد ما بين النهرين وأهل عشيرتي من بلاد الكبادوك، وإلى كُلّ اليهود من كُلّ أمّة تحت السّماء، والذين اجتمعوا هناك، فإنّه من الواجب أن ننظر مَنْ كان هؤلاء، ومِن أي شعوب اليهود المسبيّة قد أتوا. لأنّ السبيّ في مصرَ وبابل كان محدودًا، ثمّ توقّف بعودة اليهود من هناك، بينما أَسْرُهُمْ وتشتّتُهُم مِن قِبَل الرّومان لم يكن قد حدث بعد، فقد كان وشيكًا أن يحدث كعقابٍ لهم على جسارتهم وإصرارهم على صَلبِ المسيح، وينبغي أن نذكر أيضًا السبي الذي حدث أيام **أنطيوخس** (مكابيين ١، ٢)، والذي حدث ليس قبل تلك الأيام بكثير. (وقت حلول الرّوح القدس بعد صعود المسيح).

إذن كان من الطبيعي أن يوجد في تلك الأيام بعض من هؤلاء الذين تشتّتوا في أمم كثيرة، كي يُشاركُوا في هذه المعجزة. ولقد بحث محبّو المعرفة في هذا الأمر مِنْ قَبل، وربما بدون أي حُبّ استطلاع. غير أنه من المُؤكّد أن المرء يستطيع أن يضيف شيئًا آخَر بخصوص هذا اليوم، وقد أعدّه خصيصًا لنا. غير أننا لابدّ أن ننهي اجتماعنا الآن، (لأنّ الحديث قد طال).

أمّا احتفالنا فيجب ألّا ينتهي ابدًا. فإنْ كان علينا أن نحتفل الآن ونحن في الجسد، إلّا أنه بعد قليل سنحتفل ونحن في الرّوح، وحينئذ أيضًا سنعرف بصورةٍ اوضح وبطريقةٍ جَليّة أقوال الرسل بواسطة **الله الكلمة، ربّنا يسوع المسيح، الذي هو العيد الحقيقي والفَرَح لكلّ المخلّصين**، والذي له ومع الآب والرّوح القدس المجد والكرامة الآن وإلى دهر الدهور آمين.

تتمة الفصل السابع: سيرة القديس نكتاريوس (من ص ١٥)

كان يحتفظ في قعر صرّته برسالةِ تعريف لتساعده على إيجاد عملٍ عند شخصٍ يُدعَى **ثيودورس تسيليبي**، وهو تاجر تبغ يعرفه أحد أخواله.

فجأة رأى المراقبين يتقدّمون باتجاهه وهم يدقّقون في تذاكر جميع الرّكّاب.

أيّها الرب الإله. وفي غمرة الاضطراب صرخَ: «أيّها القبطان أيّها القبطان».

فسأله عجوزٌ: ”هل تبحث عن القُبطان يا ولدي؟ لقد ذهب لينام بعد أن أنهى نوبته“.

فتمتم مرتبكًا: «ماذت أفعل».

– ”ما بِكَ يا ولدي؟“

– أنا فقير ولا أملك قرشًا واحدًا. لقد تركتُ بلادي لأجد عملًا وأُحَصِّل العِلم. أرجوك ... ولم يستَطِع إنهاء جُملته إذ انفجر بالبكاء، غيرَ أنه أحسّ بيدٍ لطيفة تلمس كتفه.

– ” أنتَ تتألّم يا بُني؟“ ... أخبرني بقصتك.

– «من أنتَ أيّها السيّد؟ أنّي أشكرك ... مَن أنتَ؟»

– ”مُسافرٌ استلطف بداية انطلاقك في الحياة ... ولا يريدك أن تتألّم بعد“.

فرفع إليه عينيه المليئتين بالدّموع. وفكّر بأنه ما زال هناك أشخاص نُبلاء مُبَاركون بين كثرة الناس. ثمّ استعاد أنفاسه وتكلّم، وتكلّم طويلًا. وقَصّ عليه كُلّ شيء! كُل ما كان في داخل قلبه: أنّه يحب أن يتَلَقّى العِلْم ... جدّته هناك في البيت، التي تتمنى أن يصبح قارئًا في إحدى كنائس الربّ الكبيرة...

لقد بارَكَ الربّ بالحقيقة هذا اللقاء. وقد دفع المسافر بالطبع ثمن البطاقة، واستمع إليه بودٍّ. وقد أصبح فيما بعد – وكأنّه ملاك أُرسِلَ مِن السماء – وراء تحصيل نكتاريوس العِلّمي، وأسفاره وتقدُّمِه. إنّها **العناية الإلهيّة** أرسلته ليساعده في خطواته الأولى المتردّدة. لقد كان هذا الرُّجل **ابن أخ خوريميس العظيم، سَيِّد جزيرة خيوس** الذي ساعده كثيرًا !.

السفيه والحليم: شَتَمَ سَفِيهٌ حَلِيمًا وهو ساكِتٌ.
فقال: إياك أعني. فقال: وعنك أغضي. **قال الشاعر:**

شَاتَمَنِي كَلْبُ بَنِي مَسْمَعْ فَصُنْتُ عَنْهُ النَّفْسَ وَالْعِرْضَا
وَلَمْ أُجِبْـهُ لاحْتِقَارِي لَهُ مَنْ ذَا يَعَضُّ الْكَلْبَ إِنْ عَضَّا

تتمة الفصل السابع

وهكذا وجد نفسه لأول مرّةٍ على سفينةٍ. كان في الثالثة عشرة، يرتدي ثيابًا ممزّقة، ويحمل كلّ متاعه في صُرّةٍ صغيرة. ولا يملك في جيبه قرشًا واحدًا. لم يكن يملك أجرة بطاقة السَّفَر. وكان القُبطان ينظر إليه من سطح السفينة وهو يبتسم: لقد فهم مشكلة الصبي، وقد أضحكه ذلك. فسأله:

– ”إلى أين تذهب يا صاحب السُّموّ؟“

– ”إلى المدينة“

– لكن الذين لا يملكون المال لا يذهبون إلى المدينة!“

فَلَمْ يَرُدَّ. بَقِيَ واقفًا حزينًا يراقب عمل البحّارة في رواحهم ومجيئهم قبل الانطلاق، وهُم يحاولون تشغيل المحرّك.

أيُّها الربّ الإله، ماذا سَيحلّ به؟ هل يبقى هنا في الوطن كالجاهل، فلا يتعلَّم لكيما يفهم الكتاب المقدّس؟ هل يبقى هنا وتتحطّم أحلامه على شاطىء البحر؟

ولكن حدث شيءٌ غريب: محرّك السفينة يرفض أن يدور **إنه يَقِحّ، ويرتجف، ثم يتوقّف**. واجتهد البحّارة في العمل حتى تصبَّبَ العرق من جباههم، ولكن السفينة رفضت أن تُقلِع. وتغيَّر مزاج القبطان، فغضب وبدأ يَشْتُم، وكاد أن يكسر الدّفة. ثمّ راحَ ينظر حوله لكي يفهم ما يحدث، فالْتَقَتْ نظراته بنظرات الصبيّ ورآه يبكي. كان في نظره توَسُّل صامت، وكأنّه يتمتم: ”خُذني، خذني“. وفجأة أومَأَ له القبطان بالصعود، فقفز إلى السفينة بسرعة مُوَدِّعًا وطنه في قلبه، وفي اللحظة التي وطئت قدماه أرض السفينة، بدأ المحرّك بالعمل و ”بقوّةٍ غريبةٍ“ وانطلقت السفينة.

”قوّةٌ غريبةٌ“!. أَجَلْ؛ كان يضع في عُنُقِهِ ذلك الصليب من الخشب المقدّس الذي أعطته إيّاه جدّته. بعد وقتٍ طويلٍ، عندما وَجَدَ نفسه في البحر من جديد مسافرًا إلى فلسطين للصلاة في الأماكن المقدسة، هَبَّت عاصفة عاتية على السفينة حتى كادت أن تغرق. وإذ شَعَرَ نكتاريوس بالخوف، وأنّ النهاية أصبحت قريبة، وسط ذُعره الكبير ، تذكَّر أقوال جدّته: « يا بُنَيّ اذا كنتَ يومًا في البحر وأوشكتَ على الغَرَق، أُربط هذا الصليب **بشيءٍ ما**، وأنزله إلى المياه فستهدأ الأمواج حالًا».

وفعلًا نزع الصليب عن عُنُقِهِ، ورَبَطَهُ بِطَرَفِ حزامه. ثمّ نزل إلى الطابق الأسفل من الباخرة وألقَى الصَّليب في المياة الهائجة. وفي غضون دقيتين أو ثلاثٍ تَغَيَّر كُلّ شيء. إذ توقّفَت الرياح وهَدأَ البَحر. أيُّها الربّ! كَمْ أنتَ طيِّب، إنّ طيبَتك إلى جيلٍ وجيل!

إلَّا أنّه عندما رفع الحزام وجد الصَّليب الثمين قد اختفَى، لقد

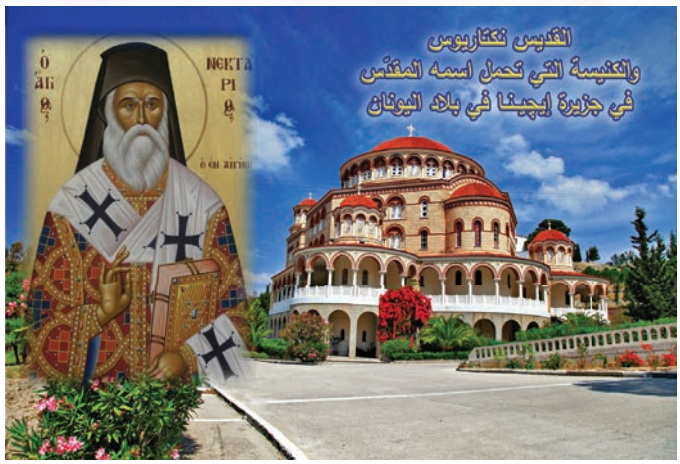

ابتلعته المياه، فانفجر بالبكاء ولم يستطع توقيف دموعه. فسأله البحّارة: ”ما بِكَ؟ “

أجابهم بيأس: «هل تريدون أن تعرفوا ما بِي؟ لقد ضحيُّت بصليبي من الخشب المقدّس لنَخلُص جميعنا. كان ذلك الصليب أثمن ما أملُك في هذه الدنيا».

وبوصولهم إلى يافا ألقوا المرساة. وفيما كان الرّكاب ينزلون من السفينة ناداه البحّارة قائلين:

”تعالَ يا صاحبنا تعال واسترجع حافِظَكَ“.

فسألهم بذهول: ”كيف وجدتموه؟“.

”قبلَ وصولنا إلى المرفأ بساعتين، كُنّا نسمع صوت ارتطامٍ منتظم على هيكل السفينة في الأسفل، على مستوى الدّفة. ولم نفهم ماذا يحصل. وأخيرًا أمر القبطان بالنزول لمعرفة ما يجري. فإذا بنا نجد الصَّليب. إليكَ به. خُذه. أنتَ تُخيفنا. ونُفَضِّل أن نُعيده إليك ...“.

وردّد نكتاريوس في نفسه: «أنتَ بالفعل عظيمٌ أيُّها الربّ، ولا يمكن أن تنسى مخلوقاتك الصغيرة على أرضك أبدًا، أبدًا ..».

لا شَكّ أنه كان يحمل قوّة خفيّة مُحيية تفوق قدرة البَشَر: ذلك الصليب، صليب الربّ، الذي ما زال مُعلَّقًا في عُنُقِهِ حتى هذه اللحظة.

أمّا تلك السفينة التي كانت تَقلّه ولدًا إلى القسطنطينية، فكانت تُبحر على بحرٍ هادىء كالزّيت. ولم يملّ نكتاريوس من تأمّل ذلك المنظر الطبيعي الذي يتوالى أمام عينيه: **تراقيا الجميلة**، بسهولها وشطآنها وتلالها. كم كانت جميلة هذه الأرض التي ما زالت تنوء تحت **نير الاستعباد والاستبداد!**

التتمة في صفحة ١٤

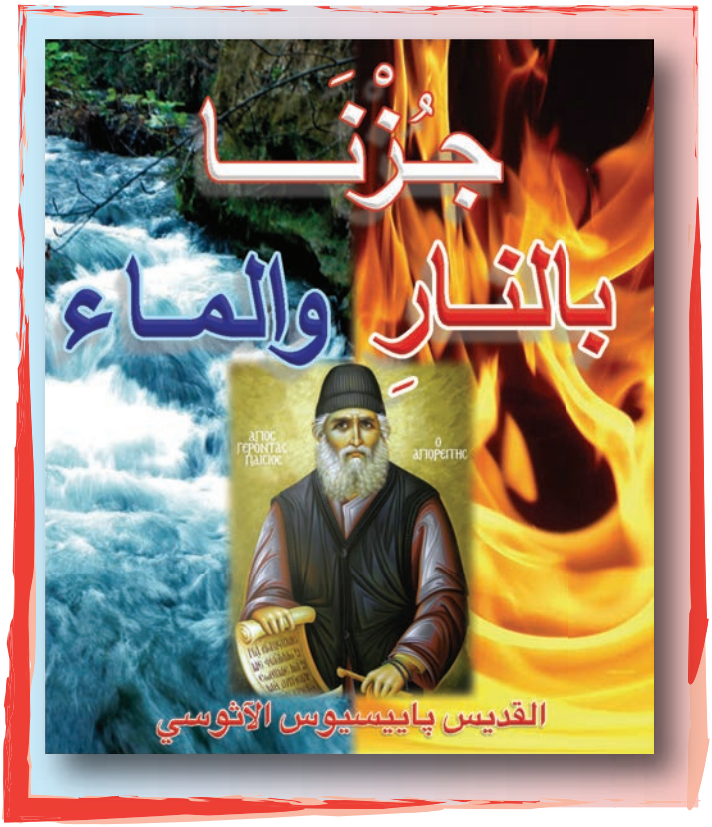

مُقدِّمَةُ المعرِّب

«أُسَبِّحُ الرَّبَّ فِي حَيَاتِي، وَأُرَنِّمُ لإِلٰهِي مَا دُمْتُ مَوْجُودًا»
(مزمور ١٠٣: ٣٣ وَ مزمور ١٤٥: ٢)

هذا لسانُ حالِ القدّيس المحبوبِ، الشيخ پاييسيوس الآثوسي. فقد كانتْ حياتُهُ تسبحةَ شُكْرٍ وعبادةٍ لله، سَكَبَ فيها لواعِجَ نفسِهِ أمامَ خالِقِهِ، ذارِفًا دموعًا حارّةً على آلامِ إخوتِهِ البَشَرِ الذين أحبَّهم، فحمَلَ معهم وعنهم أوجاعَهم وضيقاتِهم، كأقصَى درجاتِ المحبّةِ. كيف لا، وهو القائلُ: «الإنسانُ الروحانيُّ أَلَمٌ بجملتِهِ».

لقد وهبنا اللهُ هذا الأبَ اللطيفَ تعزيةً لنا، وقلبًا يخفقُ حُبًّا للعالَمِ بأكمله. لهذا صارتْ قِلّايتُه، وقبرُه، **سلوامَ** جديدةً يُبادرُ إليها المتألمون، ليُلقوا فيها بكل ما يحزنهم ويوجعهُم، غارفين راحةً وعزاء.

عزيزي القارىء، بين يديكَ غيضٌ من فيضِ عُصارةِ خبرةِ القديسِ، التي انسكبتْ في أحاديث دارتْ بينه وبين بناتِهِ الروحانيّات، راهباتِ **ديرِ القديسِ يوحنا اللاهوتي، سوروتي، اليونان**. تُسَلِّطُ هذه الأحاديثُ الضوءَ على أهمِّ المشاكلِ التي تُصيبُ البَشَر، وانتهاءً بالموتِ. وهذه الكلماتُ تنفذُ بسرعةٍ إلى القلبِ، لما تحمله من البساطةِ والعمقِ الروحانيّ، والصدقِ المُفعَمِ محبّةً وخبرةً وإرشادًا.

يا قدّيسنا الجديد، أنتَ صديقٌ خاصٌّ للملكِ السماويّ، ولكَ عنده دالّةٌ، دالّة الأبرار لحياتِكَ البارّة، ودالّة الشهداءِ والمعترفين لكثرة جهاداتِكَ النُّسكيّةِ وآلامِكَ. فاذكرْنا، نحن أبناءَكَ، الملتجئين إلى معاضدتِكَ السريعةِ. وتشفَّعْ بنا لكي نجاهدَ الجهادَ الحسن، ونحيا حياةً مَرضيّةً للربِّ الذي أحببتَ.

تَضَرُّعٌ

إلى مَنْ مِنْ بَعْدِ مَا قَامَ.. صَعِدَ، فَأَعَدَّ ﴿لِلْوَارِثِينَ﴾ مَعَهُ فِي مَنَازِلِ أَبِيهِ مَكَانًا أَبَدِيًّا، بَعْدَ غُرْبَةٍ لَهُمْ فِي الأَرْضِ زَمَنِيَّةٍ؛ وَدَيْمُومَةُ التَّسبِيحِ، فَلَا انْقِطَاعٌ لِتَرْنِيمِ المُعَيِّدِينَ، وَلَا حدَّ فَتَنْتَهِي إِلَيْهِ لَذَّةُ المُعَايِنِينَ جَمَالَ وَجْهِ مَنْ أُبْهِمَ عَنِ البَيَانِ وَصْفُه.

فَيَا أَللهُ إِلٰهُنَا، إِنَّا لَنَبْتَغِي الزُّلْفَةَ عِنْدَكَ، وَالْقُرْبَةَ إِلَيْكَ، وَالدُّنُوَّ مِنْكَ، وَالْمَنْزِلَةَ لَدَيْكَ؛

وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا قَصَّرْنَا فِيهِ، وَنَسْتَعِينُ بِكَ عَلَى مَا عَجَزْنَا عَنْهُ.

وَنَسْتَغْفِرُكَ فِيمَا أَتَيْنَاهُ مِمَّا هُوَ عِنْدَكَ إِثْمٌ،

وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تُبْنَا إِلَيْكَ مِنْهُ، ثُمَّ عُدْنَا فِيهِ،

وَجَّهْنَا إِلَيْكَ وَجْهَنَا، فَلَا تَحْجُبْ عَنَّا وَجْهَكَ.

أَنْتَ حَلُمْتَ عَمَّنْ عَصَاكَ، وَفِي نَيْلِ الغُفْرَانِ رِضَاكَ؛

فَتَجَاوَزْ عَنْ قَبِيحِ مَا عِنْدَنَا، بِمَحَبَّةِ مَا عِنْدَكَ؛

وَاغْفِرْ لَنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، بِلُطْفِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، فَمَنْ أَوْلَى مِنْكَ بِالعَفْوِ عَنَّا ؟

إِنَّا لَنَدْعُوكَ تَضَرُّعًا.. وَرَغْبَةً، فَلَا يَهُونَنَّ عَلَيْكَ ابْتِهَالُنَا، أَسْبِلْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ،

وَاسْتَجِبْ لَنَا فِي جَمِيعِ مَا يَؤُولُ بِنَا إِلَى الخَلَاصِ، وَنسأَلُكَ إِجَابَةَ صَلَاتِنَا إِنَّكَ لِلدُّعَاءِ لَسَمِيعٌ مُجِيبٌ.

فَلَكَ الحَمْدُ عَلَى مَا تَسْتَجِيبُ بِهِ لِمَنْ دَعَاكَ، حيثُ لَكَ فِيهِ رِضًى،

وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى مَا ابْتَقَدْتَنَا بِهِ، مِمَّا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَقَدْ حَسُنَ لَدَيْكَ.

وَلَكَ المَجْدُ عَلَى نِعَمٍ خَصَصْتَنَا بِهَا مِنْ نِعَمِكَ عَلَى أَبْنَائِكَ فِيمَا وَهَبْتَ لَهُمْ .. وَآتَيْتَهُمْ .. وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ.

أَللَّهُمَّ وَنَسأَلُكَ بِوَالِدَتِكَ سَرِيعَةِ الاسْتِجَابَة، وَبِالشَّأْنِ الَّذِي لَهَا عِنْدَكَ، فَمَنِ امْتَلَكَتْ دَالَّةَ الأُمُومَةِ، لَا تُزَايِلُهَا ضَرَاعَة، وَلَا تُرَدُّ لَهَا شَفَاعَة، وَهِيَ الَّتِي إِذَا سَأَلَكَ بِهَا السَّائِلُونَ أَعْطَيْتَهُمْ سُؤْلَهُمْ. آمين

الأب د. ميشيل سابا

✝ صَليبُ المِحَن ✝

✝ يارووندا أَنَا أَرتَدِي الصَّلِيبَ الصَّغِيرَ الَّذِي أَعطَيْتَنِي إِيَّاهُ، وهوَ يُسَاعِدُنِي كَثِيرًا فِي أَوْقَاتِ الشِّدَّةِ.

✝ إِنَّ الصُّلْبَانَ الَّتِي نَحْمِلُها فِي حَياتِنا تُشبهُ كَثيرًا تلكَ الصُّلبَانَ الصَّغِيرةَ الَّتِي نُعَلِّقُها حولَ رَقَبتِنا لِحمايَتِنا. هَلْ تَعتقِدينَ أَنَّ صليبَنا كَبيرٌ؟ صَليبُ مَسيحِنا هوَ وَحدَهُ الَّذِي كَانَ ثقيلًا جِدًّا. فالمَسيحُ، بِدَاعِي مَحبَّتِه لَنا نحنُ البَشرَ، وبمحضِ إرادَتِه، حَمَلَ ثِقْلَ كُلِّ صُلْبانِ النَّاسِ في العالَمِ، مُخفِّفًا شَدائِدَنا بمعونتِه الإلهيّةِ وتعزيتِه الحُلْوَة.

يُعطِي الإلهُ الصَّالحُ لكُلِّ واحدٍ مِنَّا صَليبًا، يَتَنَاسبُ مَع قُدْرَتِنا، لا لكَي يُعَاقِبَنا، بَل ليَسمَحَ لَنَا بالتَّسلُّقِ مِنْ ذلكَ الصَّليبِ إلى السَّماءِ، لأَنَّهُ بالفعلِ سُلَّمٌ مِصْعَدٌ إلى السَّماءِ. لَوْ أَدركْنا قِيمَةَ الكَنْزِ الَّذِي نَجمَعُهُ مِنْ خِلَالِ آلامِ ضِيقاتِنَا، لَمَا تَذمَّرْنا واشْتَكَيْنا، بَلْ لَشَكَرْنَا الرَّبَّ ومَدحْناهُ، حَامِلينَ الصَّليبَ الصَّغيرَ الَّذِي وَهَبَه لَنَا. فَنَبتهجُ في هذِهِ الحَياةِ وَنَأْخُذُ «أَجْرَنَا» وَ «أَرْبَاحَ تَقَاعُدِنَا» في الحَياةِ الأُخرَى. يَحفظُ اللهُ لنَا مُمتلكَاتِنا هناكَ في السَّماءِ. لَكِنَّنا سَنخسرُها إذا طَلَبَنا مِنهُ أَنْ يُرِيحَنا مِنْ إحدَى الشَّدائِدِ، وسيُعطِيها إلى شَخْصٍ آخَرَ. أَمَّا إذَا تَحَلَّيْنَا بالصَّبرِ، فهوَ سيَدفعُ لنا فَوائِدَ أيضًا.

مَغْبوطٌ هُوَ الإنسانُ الَّذِي يَتَحمَّلُ الضِّيقاتِ هُنا على الأَرضِ، فكُلَّمَا ٱختُبِرَ في هذِهِ الحَياةِ أَكْثَرَ، حَصَلَ عَلى المعونَةِ والمساعدةِ في الحَياةِ الأُخْرَى بِشَكْلٍ أَعظَم، لِأَنَّهُ بذلِكَ يَدْفَعُ دَيْنَ خَطَايَاهُ. إنَّ صَليبَ الشَّدائِدِ أَسْمَى وَأَهَمَّ مِنَ «المواهِبِ» أو النِّعَمِ الَّتِي يَهبُهَا اللهُ لَنَا. مُبَارَكٌ مَنْ يَحْمِلُ خَمسَةَ صُلْبَانٍ، لَا صَليبًا وَاحدًا فقَط. فالشِّدَّةُ، أَو حتَّى مَوتُ الشَّهادَةِ، هُوَ رِبْحٌ صَافٍ. لذلِكَ يَجِبُ أَنْ نَقولَ في كُلِّ المِحَنِ الَّتِي نَجْتَازُهَا: «أَشْكُرُكَ يَا إلهِي، فَهذَا ما أَحتَاجُهُ مِنْ أَجْلِ خَلَاصِي!».

✝ الضِّيقَاتُ تُسَاعِدُ النَّاسَ عَلى الشِّفَاءِ ✝

✝ يارِوندا، أَسمعُ بالصُّعوباتِ الَّتِي تُواجِهُها عَائِلَتِي، فَهَلْ سَتَنتَهِي مُعَاناتُهم يَومًا مَا ؟

✝ كوني صَبورةً، يا أُختاه، ولَا تَفقِدِي رَجاءَكِ بالله. لقَدْ تَبيَّنَ لِي مِنْ كُلِّ المِحَنِ الَّتِي تَتحَمَّلُها عَائِلَتُكِ، أَنَّ اللهَ يُحِبُّكِ ويَسمحُ بحدوثِ هَذِهِ المَصَاعِبِ لكَي يُعطِي عَائِلَتَكِ طَهَارَةً رُوحانِيَّةً صَافِيَةً. لَوْ نَظَرْنَا إلَى شَدائِدِ عَائِلَتِكِ مِنْ وجهةِ النَظَرِ العالميَّةِ، فستكونينَ حينَئِذٍ تَعِيسَةَ ٱلحَظِّ. أَمَّا مِنَ المنظُورِ الرُّوحانِيِّ، فَأَنتِ مَحظوظةٌ، حتَّى أَنَّ الَّذينَ كَانُوا يُعتَبَرونَ سَعيدِي ٱلحَظِّ في هذِهِ الحَياةِ سَيَحسِدونَكِ في الحَياةِ الأُخْرَى. وبِهذِهِ الطَّريقةِ سيُصبحُ والِدَاكِ مُتَمرِّسَيْنِ وَخَبيرَيْنِ بَارِعَيْنِ، لِأَنَّهُما لَا يَعْرِفَانِ الطَّرِيقَةَ الرُّوحانِيَّةَ للحَياةِ، أَو أَنَّهُما لَا يَفهمانِها. عَلى كُلِّ حالٍ، هُنَاكَ سِرٌّ مَخْفِيٌّ في الصُّعُوباتِ الَّتِي تَخْتَبِرُهَا عائِلَتُكِ، والعَائِلَاتُ الأُخْرَى أَيضًا، والحاجَةُ مَاسَّةٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ. «أَحكامُكَ كالْغَورِ العَمِيقِ» (مزمور ٣٦:٧) عَسَى أَنْ يَمُدَّ اللهُ يَدَه ويَضَعَ حَدًّا لِهذِهِ الشَّدائِدِ.

✝ يارِوندا، هَلْ هُنَاكَ طَرِيقَةٌ أُخْرَى لِيَعُودَ النَّاسُ إِلَى رُشْدِهِم غَيرِ هذِهِ الضِّيقَات ؟

✝ يَعمَلُ اللهُ بطريقةٍ لَطيفةٍ وجيّدةٍ، قبلَ أَنْ يَسمَحَ بحدُوثِ مِحْنَةٍ مَا. لَكِنَّ النَّاسَ لا يَفْهمونَهُ، لهذَا السببِ يَسمحُ عِندئذٍ بهذِهِ الشَّدائِدِ. عِندَما يُسيءُ الطفلُ التصرُّفَ، يُحاوِلُ والِدُه في البدايةِ مُساعدتَه بِلطافَةٍ لِيُغَيِّرَ سُلُوكَهُ، وفي آخرِ المطَافِ يَلجأُ الأَبُ إلى الصَّرامَةِ لِيُصَحِّحَ السُّلوكَ السَيِّء. وبالمثلِ، عندَما يَرفضُ البشرُ أَنْ يَتغَيَّروا وَيَستجيبُوا للأُسلوبِ اللطيفِ، يَسمحُ اللهُ أحيانًا بتعرُّضِهم للضِّيقاتِ عَلَّهُم يُشْفَون. **لَولَا وُجودُ الأَلَمِ، الأَمراضِ، والمِحَنِ**، لأَصبحَ البشَرُ حَيواناتٍ مُفترسةً، ولما كانَ بإمكانِهِم الاقترابُ مِنَ ٱللهِ.

هذِهِ الحياةُ زائِفَةٌ وخَادِعَةٌ، وسَنواتُ حياتِنا مَعدودةٌ. ومِن حُسنِ حَظِّنا أَنَّهَا كذلِك، لأَنَّ المرارَةَ الَّتِي تُخَلِّفُها الشَّدائدُ ستَمُرُّ بسرعةٍ، شافيةً نفوسَنا بطريقةٍ تُشْبِهُ الأَدويةَ المُرَّةَ. الطبيبُ يَصِفُ الدَّواءَ المرّ لمرضَاه المتألِّمين، إذْ بواسطتِه سَيَتعافون، لا بِواسطةِ الأدويةِ الحُلْوَة. مَا أُحاوِلُ قولَه هُوَ أَنَّ الصِّحَةَ تَأتِي مِنَ الأدويةِ المُرَّةِ، وكذلك خَلاصُ النُّفوسِ، الذي يُكتَسَبُ مِنْ خِلَالِ التَّجارِبِ المَريرَةِ.

معاني مفردات عظة عيد الصعود (صفحة ١١)

١) **بِإِقْلِيدِ**: الخيط الذي يغلق الباب
٢) **ٱلْفَضْلِيِّ**: ذو الفَضل
٣) **إِرْتَاجِهِ**: إغْلاقِهِ
٤) **زَيْغِهِ** : إنحرافه
٥) **بِأَزِمَّةِ** : جمع زِمام، الرَّسَنْ
٦) **وَلَجَاجِهِ**: العناد والإصرار
٧) **مَفْرِقَهُ**: أعلى رأسه
٨) **سُلَّاقِهِ**: صعوده
٩) **تَفْتَر**: تكشف
١٠) **بِأَرَجِهِ**:الرائحة الذكيّة
١١) **ٱلْمَفَارِقُ وَٱلْمَنَاسِمُ**:الطرق والمذاهب
١٢) **ٱلسَّلِيحِيَّة**: الرسوليّة (سريانيّة)
١٣) **وَٱسْتَوْطَأَتْ**:داست (وطىء)
١٤) **صَهْوَةَ**:ظهر الحصان
١٥) **تَوَقَّل**:تسلّق وارتفع
١٦) **وَٱلْمِيقَاتُ**:التوقيت والزمن
١٧) **سَدَفِ ٱلسِّرَارِ**:ضوءٌ بازغٌ من الظلام
١٨) **نُحُورُ**:موضع القلادة في العنق
١٩) **وَتَضَوَّعَتْ**:فاحت وانتشرت
٢٠) **نُضِيَتْ**:رُفِعَتْ
٢١) **سُتُورُ**:جمع سِتْر، ما يُستَر بِهِ.
٢٢) **ٱلْأَذْخَارِ**:جمع ذُخر: الثمين والمدَّخر
٢٣) **ٱلْأَوْزَارُ**:الخطايا والذنوب
٢٤) **أُرْتِجَتْ**:أُغلِقَت
٢٥) **ٱلنَّجَاءُ**:الغفران والنجاةُ
٢٦) **ٱلْقُرُونِ**:جمع قَرن، مئة عام
٢٧) **سُدَّةِ**:مَدخل
٢٨) **ٱلْأَوْهَدِ**:المنخفض من الأرض
٢٩) **نَوَائِمُ**:ما كان نائمًا وراقِدًا
٣٠) **قَرَّتْ**: سُرَّت وَفَرِحَتْ
٣١) **مُتُونُ**:ظُهور جمع ظَهر
٣٢) **قِلَاعَتُهُ**:شِراعه
٣٣) **أَرَائِكُ**:جمع أريكة، السرير
٣٤) **ٱلصَّفِيحِ**:الوجه الممتد
٣٥) **سُرَادِقِ**:خيمة تمتد فوق السطح
٣٦) **بِأَزِمَّةِ**:جمع زِمام، الرَّسَن
٣٧) **نُكْتَنَفُ**:نُقَيَّد، نرتبط
٣٨) **ٱلْوَارِفِ**:المنتشر الظلال
٣٩) **التوالد وَٱلطَّوَارِفَ**:الموروث قديمًا وحديثًا
٤٠) **مَظَانِّ**:موضعه ومأْلَفه
٤١) **ٱلرِّضْوَانِ**:الرِضَى
٤٢) **صَوَادِيَ**:عِطاش
٤٣) **قَرِيرَةً**:فَرِحَةً مَسرورَةً
٤٤) **فَيْئَتِهِ**:رجوعه وعودته
٤٥) **بادية ٱلسُّفُورِ**:مكشوفة
٤٦) **ٱلْوَضَاءِ**:الضَّوء والنّور
٤٧) **وَاكِفَةً**: ماطرة
٤٨) **مُتَرَادِفَةً**:يتلو بعضُها بعضًا

التابوت، يمكن أن يكون مثالًا وأيقونة للمسيح. لأنه في تفسيرنا لطريقة تأنس الوحيد الجنس روحانيًا، سوف نرى أن اللوغوس ساكن في هيكل العذراء، كما لو كان داخل التابوت. لأنه وفق الكتب المقدسة «فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا.» (كو٢:٩). إذن **اللوغوس** هو ما يشير إليه **لوحا الشهادة بالتابوت**.

والخشب أيضًا كان من النوع الذي لا يُصاب بالفساد، وكان مغطى بذهب نقي وخالص من الداخل والخارج، لأن جسد المسيح غير فاسد، محفوظ في عدم الفساد بقوة وبهاء اللوغوس، الذي يسكن داخله بطبيعته، والفعل المحيي للروح القدس. لأجل هذا يقال أن المسيح يُحيي. ولأنَّ اللوغوس – كلمة الله الآب – حيٌّ بحسب طبيعته، فإنه بقوة الروح يُعيد إحياء هيكله، جاعلًا إيَّاه أسمى من الفساد. لذا جَسَدُهُ لم يرَ فَسَادًا: «...أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا» (أع٢:٣١). إذن الذهب هو رمز للألوهيّة فائقةُ البهاء، التي اتحدت بالجسد المقدس، وانسكبت داخله بالمجد وعدم الفساد بطريقة فائقة، بقدر ما تعتبر معرفة الطبيعة اللاإلهية في حدِّ ذاتها أعلى من العقل. لأنه إذا كان الأبرار يضيئون كالشمس في ملكوت أبيهم (مت ١٣)، فماذا يكون إذًا مجد المسيح نفسه، وكيف لا تكون إشعاعاته أعلى من أي عقل أو منطق؟

أمَّا غطاء التابوت – بالمعنى الروحاني – فنقول عنه أنه يشير إلى ذاك الذي صار إنسانًا من أجلنا، «الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً (غِطَاءً) بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ.(رومية٣:٢٥). وأيضًا يكتب لنا يوحنا التلميذ الحكيم في رسالته: «يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ (غِطَاءٌ) لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا.» (١يو١).

حقًا بواسطة المسيح تتحقق كَفَّارَتُنا...هو الكَفَّارة والغطاء بالنسبة لنا. لأن الآب صار لنا رحومًا بواسطته، فيه وجدنا غاية توسلاتنا، وبواسطته نستطيع أن نقترب إلى الله، وبخلاف ذلك لا نصير مقبولين. لذلك يقول «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ»، «أَنَا هُوَ الْبَابُ.»، «لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي». **ومع أنه صار مثلنا ونزل اللوغوس وحيد الجنس ذاته إلى مستوى الإنسان، في إخلائه**، لكن علينا أن ندركه **بالمجد اللائق بألوهيته وبسموه الذي يتجاوز الخليقة**، كما قَبْلَ أن يأخذ جسدًا. لذلك الكروبان يقفان فوق الغطاء، باسطين أجنحتهما مظللين الغطاء، ماثلين أمامه كل واحد وجهه للآخر، ووضعهما على اليمين واليسار هو برهان الخضوع ...

إذن **كفارتنا هو المسيح** الذي وهو في الجسد، عندما ظهر لم يكن أبداً أقل من إله ورب من جهة الطبيعة، وحقًا كانت له القوات الفائقة حوله تخدمه. فقد قالت لنا الكلمة المقدسة (مت ٤)، أنه بعد التجربة حين صام لأجلنا، ذهبت الملائكة لتخدمه ...

فوق الغطاء سوف أظهر:

«وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ، مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ» (خروج ٢٥:٢٢)، ويقول أيضًا: «وَسَوْفَ أَتَحَدَّثُ إِلَيْكَ». بهذا القول يعلن أمرين. فبالرغم من أن المسيح إنسان، إلا أنه سوف يعلن ما يفوق الطبيعة البشرية، ولن ينحصر فقط داخل مقاييس الإخلاء، وذلك بسبب **أنه الله ومولود من الله بالطبيعة** .. وسوف يعلن ذلك بشكل يفوق مجد الغطاء، ويفوق مجد الكاروبين، أي بعظمة ومجد، بل وأسمى من الكائنات المخلوقة .

ومكتوب في سفر العدد: «فَلَمَّا دَخَلَ مُوسَى إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ، كَانَ يَسْمَعُ الصَّوْتَ يُكَلِّمُهُ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ الَّذِي عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ، فَكَلَّمَهُ.» (لا ٧ ٨٩:٧). عندما انتهت الخيمة المقدسة، وظهرت الخيمة الحقيقية المقدسة أي الكنيسة بزينات مختلفة، عندئذ تحدَّث لنا الله الآب، لأنه يقول «كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ» (عب١:٢)، والذي نقول عنه أنه: «كفارة (غطاء) لأجل خطايانا». والصوت أتى من فوق

تابوت العهد: الَّذِي فِيهِ قِسْطٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ الْمَنُّ، وَعَصَا هَارُونَ الَّتِي أَفْرَخَتْ، وَلَوْحَا الْعَهْدِ.

الكاروبيم، لأن الله عالٍ جدًا أسمى من كل الخليقة، إذ أنه أعظم بحسب جوهره من أي خليقة. والابن – الكفارة الحقيقية – حين أخبرنا بكلام الله، قال: «تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي.» (يو ٧: ١٦).

سوف أبدأ حديثي عن قسط المَن، وحقيقة الأمر هي كالآتي: لقد أعطى الله المَن – مثل المطر – للإسرائيليين في الصحراء. لذا كان المَن بالنسبة لهم طعامًا وخبزًا من فوق، أي من السماء. لكن هذا الأمر لا يتوقف عند الرؤية المادية المحسوسة، بل يقودنا – من خلال المثال والظل – إلى الإشارة «للكلمة» الآتي من فوق، من الآب أي الخبز الذي من السماء. وكانت هذه هي الرؤية التي قصدها داود العظيم قائلًا: «أَكَلَ الإِنْسَانُ خُبْزَ الْمَلاَئِكَةِ. أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ زَادًا لِلشِّبَعِ.» (مز ٧٧: ٢٥).

وطبعًا نحن لا نقول أن المَن المادي هو خبز من السماء، أو هو خبز الملائكة، لأن الروح تغتذي على طعام روحاني، كما يتغذى الجسد بطبيعته بالطعام المادي. لكن طعام الملائكة والخبز الذي يتناسب مع السماوات والأرواح السماوية هو **كلمة الله الآب**. إذن فالْمَنُّ يشير إلى المسيح. وإن لم تصر هذه الحقيقة مقبولة فالظل لا يعلن شيئًا مفيدًا، إذ أن الظل لم يصر ظلًا لِعِلَّةٍ في ذاته، بل لكي يرمز إلى أمر من الأمور الحسنة.

لذلك وبَّخَ المسيح جمع اليهود توبيخًا واضحًا لأنهم لم يكرموه، بالرغم من أنه كان هو **الحقّ**، بينما كان موسى **خادمًا للظلال**. لذلك قال لهم المسيح: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمُ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَبِي يُعْطِيكُمُ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ، لأَنَّ خُبْزَ اللهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ. فَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هذَا الْخُبْزَ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا.» (يو ٦: ٣٢-٣٥).

هكذا تنبأ الله بواسطة موسى عن قسط المَنّ، موضحًا إن المَنّ هو صورة ترمز إلى الكلمة الذي نزل من فوق، من السماء، فقد كتب الآتي: «هذَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ. اِلْتَقِطُوا ... مِلْءُ الْعُمِرِ مِنْهُ يَكُونُ لِلْحِفْظِ فِي أَجْيَالِكُمْ. لِكَيْ يَرَوْا الْخُبْزَ الَّذِي أَطْعَمْتُكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ حِينَ أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: خُذْ قِسْطًا وَاحِدًا وَاجْعَلْ فِيهِ مِلْءَ الْعُمِرِ مَنًّا، وَضَعْهُ أَمَامَ الرَّبِّ لِلْحِفْظِ فِي أَجْيَالِكُمْ. كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى وَضَعَهُ هَارُونُ أَمَامَ الشَّهَادَةِ لِلْحِفْظِ. (خر ١٦: ٣٢-٣٤).

وكما قلنا إن التابوت الإلهي الذي يحتوي على الكلمة الإلهية يُعلن عن عمانوئيل، لأن كلمة الله أتى إلى داخل الهيكل المقدس، أي **الهيكل الذي قدمته العذراء**. إذن بنفس الطريقة، القسط الذهبي الذي يحتوي في باطنه المَنَّ المادي يرمز للكلمة السماوي والحيّ، الذي أتى من الآب متحدًا بجسدٍ مقدسٍ طاهرٍ.

إذن، كان قسط المَنِّ هناك لكي يُحفظ لأجيال بني إسرائيل، لأن المسيح غير فاسد، بل هو باقٍ إلى الأبد، وهو حاضر في كل وقت، وفي كل زمان ماثلٌ أمام الرب، أي أمام أعين الآب. لأن وحيد الجنس عندما صار إنسانًا دخل بعد ذلك إلى قُدس الأقداس في الخيمة الأعظم والأكمل، أي في السماء، لكي يظهر الآن أمام الله لأجلنا، كما هو مكتوب (عب ٩). لأنه لا يُقَدِّم ذاته أمام الآب لأجل نفسه، بل يُقَدِّمُنَا في ذاته إلى الآب، **بالرغم من أننا ضللنا من أمام وجه الآب بسبب مخالفة آدم، وبسبب الخطيئة التي مَلَكت وسادت الكل**. إذن فقد اقتادنا المسيح، وبواسطته تمكنَّا من الحضور إلى مدخل الأقداس كما قال بولس الرسول (أف ٢: ١٨). لأنه مثلما قُمنا مع المسيح وجلسنا معه في السماويات، هكذا أيضًا نُوجد معه أمام الآب.

ما هي العبادة النافلة؟

لم ترد هذه العبارة في الكتاب المقدس سوى مرة واحدة ، وذلك في رسالة بولس الرسول إلى الكنيسة في كولوسي :

« إذا كنتم قد متُّم مع المسيح عن أركان العالم ، فلماذا كأنكم عائشون في العالم ، تفرض عليكم فرائض ٠ ٠ ٠ حسب وصايا وتعاليم الناس ، التي لها حكاية حكمة بعبادة نافلة وتواضع وقهر الجسد ليس بقيمة ما من جهة اشباع البشرية » (كو٢ : ٢٠ – ٢٣) . وكلمة « **النافلة** » تعني الزائدة عن الفرض أو المرسوم . «**فالعبادة النافلة**» هي الصادرة عن استحسان الإنسان ، وليست حسب مشيئة الله المعلنة في كلمته المقدسة .

ورغم ما يبدو فيها من مشقة على الجسد تشبع غرور الإنسان الطبيعي ، إلا أنها بلا قيمة في نظر الله ، لأنها « حسب وصايا وتعاليم الناس » .

أَرَاكَ أَمرأً تَرجُو من الله عَفْوَهُ
وأَنْتَ عَلى مَا لَا يُحِبُّ مُقِيمُ
تَدُلُّ عَلى التَّقْوَى وأَنْتَ مُقَصِّرٌ
فَيا مَنْ يُدَاوِي ٱلنَّاسَ وَهْوَ سَقِيمُ

إنَّ "معرفة الذات" هي أعظم حماية لنا، وذلك حتى نتحاشى الانخداع بكوننا نعرف أنفسنا، بينما نحن في الحقيقة ننظر إلى شيئ آخر. هذا ما يحدث مع أولئك الذين لا يتفحصون أنفسهم بدقة. ما يرونه **هو القوة، الجمال، السُّمعة، النُّفوذ السياسي، الغِنى الوفير، الأبهة، الغرور، قوام الجسم السليم، جمال الشكل أو ما شابه،** ويظنون أن مثل هذه الصفات هي حقيقتهم. مثل هؤلاء الأشخاص هم حراس مهملون لأنفسهم، بسبب ٱستغراقهم في الصور الزائفة، فهم إذ يغفلون حقيقة أنفسهم يتركونها غير مصونة.

كيف يمكن لشخص أن يصون ما لا يعرفه؟ إن أحسن وسيلة آمنة لحماية كنوزنا هي أن نعرف أنفسنا: كل إنسان يجب أن يعرف ذاته كما هو، وأن يميِّز ذاته عن كل ما هو غريب عنها، وذلك حتى لا يهتم بحماية شيء آخر، بشكل غير واعي عوضًا عمَّا هو بالحقيقة ذاته.

إن الإنسان الذي يعطي **قيمة كبيرة لحياة هذا العالم،** أو الذي يظن **أن الكرامة العالمية تستحق الحماية،** لا يعرف كيف يميّز حقيقة ذاته مما هو غريب عنه. لأن كل ما هو عابر ليس – على وجه التدقيق – مُلْكَنَا. إذ كيف يمكن أن يكون لنا سيادة على ما هو عابر ومؤقت؟ إن الكائنات الروحانية غير المادية هي على الدوام كما هي، بينما المادة عابرة تتغير بشكل مستمر بنوع ما من التدفق أو الحركة. ومن ثم فالشخص الذي يفصل ذاته عمَّا هو ثابت سوف يُحمَّل بواسطة ما هو في جريان مستمر. وبتخليه عمَّا هو ثابت من أجل ما هو عابر، يخسر كليهما، لأنه بينما يهجر الأول يعجز عن الحفاظ على الثاني.

لهذا السبب أعطى أصدقاء العريس النصيحة التالية للعروس: «إِنْ لَمْ تَعْرِفِي أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ بَيْنَ النِّسَاءِ، فَاخْرُجِي عَلَى آثَارِ الْغَنَمِ، وَارْعَيْ جِدَاءَكِ عِنْدَ مَسَاكِنِ الرُّعَاةِ.» (نشيد الأنشاد ١:٨).

ما معنى هذا؟ معناه أن الشخص الذي لا يعرف نفسه بشكل صحيح، يتيه عن قطيع الخراف ليرعى مع الجداء الذين مكانهم عن يسار المسيح (مت ٢٥). لأن الرَّاعي الصالح يضع الخراف عن يمينه، ويفصل الجداء عن هذه المجموعة الأكثر كمالًا، ويضعهم عن يساره. هكذا نتعلم من النصيحة التي قدمها أصدقاء العريس أنه يجب علينا أن **نفحص بتدقيق جوهر الحقيقة ذاتها ونسعى نحو الحق بخطوات ثابتة.**

لكنني يجب أن أشرح كلامي بوضوح أكثر. كثير من الناس لا يستمدون إستنتاجاتهم من جوهر الحقيقة ذاتها، بل يقتنعون فقط بالطريق الذي سلكه الناس من قبلهم، وبالتالي يفتقدون تمامًا صحة الحُكم على الحقيقة، فيأخذون العادات غير العاقلة كمعيار يرشدهم لما هو حسن بدلًا من المنطق الرصين. ومن ثم يتلهفون وراء السلطة والمنصب السياسي، فيحققون قدرًا كبيرًا من المظاهر الخارجية فقط، نظرًا لأنهم لا يدركون حقيقة أن كل هذا سوف ينتهي بانتهاء هذه الحياة. إذ أن العادات والتقاليد ليست ضمانًا أكيدًا للمستقبل، بل غالبًا ما تقودنا إلى **رفقة الجداء،** وليس إلى رفقة **قطيع الخراف.**

سيتضح المعنى عندما نرجع إلى كلمات الإنجيل. إذا فكرت مليًا في ما هو لائق بالإنسان – أي عقلانيته – سوف تحتقر قوة العادة كقوة غير عاقلة، ولن تختار أبدًا ما لا يُقَدِّم أي فائدة للنفس كأنه أمر جيد. لذلك يجب ألَّا نراعي بجدية آثار أقدام أولئك الذين سبقونا، مثل الأغنام الكثيرة التي تترك آثارها في العالم. لأن الطريق الأفضل للاختيار لا يتضح من خلال الظواهر الحسية، بل يظل هكذا إلى أن نرحل عن هذه الحياة، آنذاك سنعلم من تَتَبَّعنا. إذن، الإنسان الذي يتبع فقط مسارات الذين عاشوا من قبله، ويأخذ عادات هذا العالم دليلًا له في الحياة، ولا يميّز الخير من الشر على أساس جوهر الحقيقة، كثيرًا ما يقع في الخطأ، ويصير في يوم الدينونة العادلة **جَدْيًا** لا **خروفًا.**

هكذا نفهم كلمات هؤلاء الأصدقاء : أيتها النفس أنتِ الآن جميلة، بالرغم من أنك كنت قبلًا سوداء، إذا كنتِ أيتها النفس حريصة أن تحتفظي بجمالك الفاتن على الدوام، فلا تَهيمي على وجهك مقتفية آثار أقدام الذين سبقوك في هذا العالم. لأن هذا الدرب الذي ترينه قد يكون طريق الجداء، فتتبعينه لعدم إمكانك مشاهدة أولئك الذين شكَّلوا هذا الدرب بآثار أقدامهم.

لذلك يجب الاحتراس لئلا بعد الموت ومغادرة هذه الحياة نوضع مع قطيع الجداء، لكوننا بجهل تتبعنا آثار أقدامهم أثناء الحياة.

«إِنْ لَمْ تَعْرِفِي أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ بَيْنَ النِّسَاءِ، فَاخْرُجِي عَلَى آثَارِ الْغَنَمِ، وَارْعَيْ جِدَاءَكِ عِنْدَ مَسَاكِنِ الرُّعَاةِ.». يمكن فهم هذه الفقرة بسهولة أكثر، إذا نظرنا لنسخة أخرى من النص حيث الترتيب أكثر ترابطاً: «إن لم تعرفي نفسك، أيتها الجميلة من النساء، تكوني قد خرجتِ وتبعتِ آثار الغنم، وَقُمتِ برعي الجداء أمام خيام الرعاة». نص هذه النسخة يتوافق بالضبط مع التفسير الذي قدمناه.

النص إذن يقول: أحذر لئلا يحدث لك هذا !

إذ أن هذا هو **الطريق الآمن** لحماية الأمور الحسنة التي تتمتع بها: وذلك عن طريق إدراكك بأي مقدار قَدْ كَرَّمَكَ الخالق فوق جميع المخلوقات الأخرى. فهو لم يصنع السموات على صورته، ولا القمر

ولا الشمس ولا النجوم الجميلة، ولا أي شيء آخر مما تراه في الكون المخلوق.

أنت وحدك مخلوق على مثال تلك الطبيعة التي تعلو فوق كل إدراك.

أنت وحدك شبيه بالجمال السرمدي،

أنت وحدك وعاء للسعادة،

أنت وحدك صورة للنور الحقيقي،

وإذا نظرت إليه سوف تكون مثله،

ذاك الذي يشرق في داخلك عند محاكاتك إياه،

ذاك الذي ينعكس مجده في طهارتك.

لا يوجد في كل الخليقة ما يضاهي عظمتك.

كل ما في السموات يمكن إحتواؤه في كف يد الله،

الذي كال بكفه مياه البحر وكال بالكيل تراب الأرض (إش ٤٠: ١٢).

وبالرغم من أنه عظيم جدًا لدرجة أنه يحتوي الخليقة كلها في راحة يده،

إلا أنك يا إنسان يمكنك معانقته بالكلية.

هو يسكن فيك، ويتغلغل في كيانك كله دون أن ينحصر بداخلك، فهو يقول: «إني سأسكن فيهم وأسير بينهم» (٢ كو ٦: ١٦).

إذا أدركت ذلك، لن تسمح لعينيك بالتطلع لأيِّ شيء من هذا العالم، بل ولن تعود حتى لتتعجب أمام بهاء السموات. إذ كيف يمكنك التعجب أمام السموات — يا ابني — إذا كنتَ أنت أكثر بقاءً منها؟! فالسموات سوف تزول، أما أنت فسوف تبقى لحياة أبدية مع ذاك الدائم إلى الأبد. فلا تتعجب إذن أمام ضخامة الأرض أو اتساع المحيط، لأنهم مثل العربة والجياد قد تم تقديمهم إليك ليكونوا تحت سلطانك، كعناصر طيّعة لإراداتك. فالأرض تخدمك وتمدك باحتياجات الحياة، والبحر يعطيك ظهره كجواد أليف لكي تركبه.

هكذا، إن عَرَفتِ نفسك، أيتها الجميلة بين النساء، فإنك سوف تحتقرين الكون كله، ومن خلال تثبيت النظر على الهدف الروحاني سوف لا تهتمين بآثار الأقدام الهائمة التي تجدينها في الحياة. لذا كوني يقظة وساهرة، ولا تنخدعي بواسطة قطيع الجداء، حتى لا يتم توصيفك في يوم الدينونة **كجدي** بل **كخروف**، وحتى لا تُسْتَثْنَيْ من الموضع الذي عن يمين العرش. بل بالأحرى، تسمعين الصوت الحلو الذي يُخاطب جميع الخراف المتضعة الحاملة للصوف: «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ.»(مت ٢٥: ٣٤).

السيّد المسيح
يطرد الصيارفة من الهيكل

كان اليهود – بعامة– يكرهون الوثنية وكل ما يمت لها بصلة ، فلم يكن مقبولًا عندهم استخدام نقود عليها صورة القيصر، أو أحد الآلهة الوثنية أو أي رموز وثنية. فعند دفع الضريبة السنوية للهيكل – وكانت نصف الشاقل لكل من بلغ العشرين من العمر (خر ٣٠: ١١-١٦) كان يجب ان تُدفع بعملة خالية من كل أثر للوثنية، لذلك نشأت وظيفة الصيارفة للقيام بخدمة تغيير العملات المختلفة بالشاقل، وكذلك استبدال العملات الكبيرة بعملات صغيرة (من الشاقل ونصف الشاقل). فكان اليهود والدخلاء القادمون في الأعياد من مختلف البلدان، يستطيعون استبدال عملاتهم المختلفة بالعملة اليهودية لدفع الضريبة السنوية، ولشراء الذبائح والتقدمات المختلفة من **حملان، ثيران، خمر، زيت، ملح، بخورٍ ودقيق.**

وفي أيام الرب يسوع المسيح كان أبناء **حنانيا – رئيس الكهنة المتقاعد** – يقيمون – عند اقتراب أيام الأعياد– المتاجر والموائد الصيارفة في الفناء الخارجي من الهيكل، حيث يجتاز كل داخل إلى الهيكل للعبادة. وكان الصيارفة – عادة – يتقاضون نحو **١٢٪** من قيمة العملات التي يستبدلونها.

وفي بداية خدمة الرب يسوع، عندما جاء إلى أورشليم في أيام عيد الفصح ودخل الهيكل، « ... وَوَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ بَقَرًا وَغَنَمًا وَحَمَامًا، وَالصَّيَارِفَ جُلُوسًا. فَصَنَعَ سَوْطًا مِنْ حِبَال وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ، الْغَنَمَ وَالْبَقَرَ، وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ. وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ: ارْفَعُوا هذِهِ مِنْ هُهُنَا! لاَ تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ!» (يو٢: ١٢-١٧).

وقد حدث نفس الشيء في زيارته الأخيرة لأورشليم ... « وَدَخَلَ يَسُوعُ إِلَى هَيْكَلِ اللهِ وَأَخْرَجَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ وَقَالَ لَهُمْ: مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ! » (مت ٢١: ١٢و ١٣، انظر أيضًا مرقس ١١: ١٥و ١٧، لو ١٩: ٤٥ و٤٦، إرميا ٧: ١١).

ولم يكن عمل هؤلاء الصيارفة قاصرًا على استبدال العملات، بل كانوا أيضًا يقومون بما يشبه ما تقوم به المصارف الآن، من قبول ودائع يقرضونها بربا، أو يستغلونها في التجارة، ثم يردونها لأصحابها مع أرباح مناسبة (انظر مت ٢٥: ٢٧، لو ١٩: ٢٣).

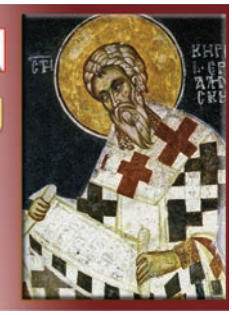

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الثالثة عشر في العماد

«... وَصُلِبَ وَقُبِرَ»

«ربّ، من الذي آمن بكلامنا؟ ولمن ظهرت يدُ الربّ؟ ... كنعجة سيق الى الذبح وحمل صامت بين يدي من يجزّه هكذا فتح فاه. في ذلّه أنكر عليه حقّه. تُرى من يصف ذريته؟ لأنّ حياته أُزيلت عن الأرض ...» (أشعيا ٥٣: ١-٨).

٦- المسيح ذبيحة إراديّة

هل تريد أن تقتنع بأنه أقبَلَ على الآلام طوعًا ؟ فاعلَم بأن الآخرين يموتون مكرهين جاهلين مصيرهم. أمّا هو فقد أنبأ بآلامه: « تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الْفِصْحُ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصْلَبَ» (متى ٢٦: ٢). هل تعرف لماذا لم يهرب محبُ البَشَر من الموت؟ **لكي لا يهلك العالم كلّه في خطاياه.** «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ لِكَيْ يَهْزَأُوا بِهِ وَيَجْلِدُوهُ وَيَصْلِبُوهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ» (مت ٢٠: ١٩)؛ وأيضًا: «عَزم على المضيّ إلى أورشليم» (لو٩: ٥١).

هل تريد أن تعرف بوضوح أن مجد يسوع هو الصليب؟ فاسمع إذن ما يقول يسوع عن نفسه وليس أنا: كان يهوذا قد خانه إذ كَفَرَ بنعمة ربّ البيت ، بعد أن جلَسَ إلى مائدته، وشَرِبَ كأس البَرَكة وأراد مُقابل كأس الخلاص أن يسفك دمًا زكيًا: «الآكل خبزه قد داسه بالأقدام» (مز ٤٠: ١٠)؛ لم تتلقَّ بعد يداه خبزَ البَرَكةِ حتَّى أسرَعَ ليسلمه إلى الموت، **حُبًا بمال الخيانة**. لقد اضطرّ أن يؤمن إذ هو سمع: «أَنتَ قُلت» (متى ٢٦: ٢٥)، مع ذلك خرجَ لِيُسَلِّمَهُ. عندئذ قال يسوع:«قَد أَتَتِ السَّاعَةُ الَّتي فيها يُمَجَّدُ ابنُ الإنسان» (يو١٢: ٢٣). تُرى كيف أنه كان يعرف أنّ الصليب كان مجده الخاصّ: إن كان أشعيا لم يخجل أن يُنشَر شَطرَيْن. فَلِمَ نخجل نحنُ من أنَّ المسيح مات لأجل العالم؟ «الآنَ تَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ وَتَمَجَّدَ اللهُ فِيهِ» (يو١٣: ٣١)، هذا ليس معناه أنّه لم يَكُن ممجَّدًا مِنْ قَبل، إذ هو كان ممجَّدًا بالمجد الذي كان له عند الآب قبل أن يكون العالم (يو١٧: ٥). بوصفه إلهًا هو ممجَّد منذ الأزل، ولكنه يُمَجَّد الآن بالإكليل الذي أُحرِزَ بصَبرِهِ. أنّه لم يترك الحياة قَهرًا، ولم يَقبَل الموت مُكرَهًا إنّما طَوْعًا، إسمعه يقول: «لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أَيْضًا. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا.» (يو١٠: ١٨). إنِّي أُسلم نفسي لأعدائي بإرادتي، وإلَّا لما تمّ ذلك. وعليه يتضِح أنه قَبِلَ الآلام طوعًا مسرورًا بعمله مُبتسمًا لإكليل الشوك، مُبتهِجًا بخلاص البشرية، غير خاجل من الصليب لأن به كان يخلص العالم، إذ هو لم يَكُن إنسانًا عاديًا يتألّم، بل إلهًا متجسِّدًا يجاهد جهاد الصبر.

٧- ردّ الأنبياءُ على اليهود الذين لم يؤمنوا

ولكن اليهود يعترضون على ذلك، وهم على استعدادٍ دائمًا للمناقضة، ولا يُقبِلُون على الإيمان إلَّا بِبُطءٍ. ولذلك يقول النبيّ الذي أتينا على تلاوته: «يا رَبّ، مَنْ آمنَ بما سَمِعْنا؟» (أشعيا ٥٣: ١). الفُرس آمنوا والعبرانيين لم يؤمنوا : «بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: الَّذِينَ لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ سَيُبْصِرُونَ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوا سَيَفْهَمُونَ» (رو ١٥: ٢١) ؛ والذين يتأملون يرفضون ما يتأملون فيه، ويردّون علينا بقولهم: «**لماذا يتألّم الرب؟ هل الأيدي البشرية أقوى من القدرة الإلهيّة؟**». إقرأوا المراثي التي فيها يرثيكم النبي ارميا. لقد رأى خرابكم وشاهَدَ سقوطكم، فرثَى أورشليم القديمة، لأنّ الجديدة لم يَرثِها أحد. إذ **صَلَبتَه** الأولى أما الثانية **فتعبده**. إنه يقول في رثائها: «نَفَسُ أُنُوفِنَا، مَسِيحُ الرَّبِّ، أُخِذَ فِي حُفَرِهِمِ.» (مراثي ٤: ٢٠). هل هذه الأقوال من عندي؟ ها هوذا النبي يشهد بأن المسيح سيُقبَض عليه. ثمّ ماذا سيحدث بعد ذلك، قُل أيّها النبي. وعليه يردّ النبي: « الَّذِي قُلْنَا عَنْهُ:فِي ظِلِّهِ نَعِيشُ بَيْنَ الأُمَمِ » (مراثي ٤: ٢٠)، وهو يعني بذلك أن نعمة الحياة لم تَعُد لإسرائيل، بل أصبحت تقطن بين الأمم.

صولجان

الصولجان عصا معقوفة الطرف ، يضرب بها الفارس الكرة، ومنها **"صولجان الملك"** أي العصا التي يحملها الملك رمزًا لسلطانه. وجاء في نشيد البئر: «بئر حفرها رؤساء، حفرها شرفاء الشعب بصولجان..» (عد٢١: ١٨) أي بما لهم من سلطان وقوة، ويقول الله على فم المرنم: «لي جلعاد ولي منسى وأفرايم خوذة رأسي يهوذا صولجاني» (مز ٥٩: ٧ و ١٠٧: ٨) باعتبار أن **يهوذا هو السبط الملكي** ، والذي منه سيأتي **«المسيا» صاحب السلطان المطلق** (انظر تك ٤٩: ١٠، إش ٣٣: ٢٢).

الأرثوذكسية (٤٨)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

كَمَا فِي الْكُتُبِ

يَقول الكتاب المُقَدَّس: إنَّ القيامة حدَثٌ يُكَمِّل النُّبوءات، كُلًّا من نبوءات العهد القديم ونبوءات يسوع أيضًا. هذه الحقيقة تُبَيِّن لنا أنَّ الكتاب المقدَّس **متينٌ ومُتماسِكٌ جدًّا**، راسخٌ تمامًا على مبادئٍ ويشير باستمرار مِن خلاله إلى المسيح وقيامته، إلى قمَّة عَمَل الله بين الناس.

وجَدَت الكنيسة الأولى مرجعًا للقيامة في المزامير: «لِأَنَّكَ لا تَتْرُكُ نَفْسي في الجَحيمِ، ولا تَدَعُ قُدُّوسَكَ يَرى فَسادًا» (مز١٥:١٠). وهذه الآية استخدمها سفر الأعمال مرّتين (أع٢:٣٠-٣١ و أع ١٣:٣٥). إنّها تُشير إلى حقيقةِ أنَّ اللهَ لَن يَسمَح للمَمسُوحِ، المسيّا، أنْ يَبقَى في الهاوية. وقد أشار كلٌّ من بطرس (أع ٢:٢٤-٣١)، وبولس (أع ١٣:٣٣-٣٧) إلى أنَّ القيامة حَدَثٌ وَعَدَ الله به في العهد القديم. لهذا السبب نجد في القانون النيقاوي أنَّ يسوع قَامَ من الأموات في اليوم الثالث «كَمَا فِي الْكُتُبِ»، أي بحسب ما وَعَدَ به الله في العهد القديم.

إنَّ يسوع نفسه تنبَّأ بخصوص قيامته، فبعَد أن طَهَّرَ الهيكل من الصيارفة، وباعة الحمام، طلَب منه اليهود آية تُريهم بأيّ سُلطان يَفعَل هذا: « فَأَجَابَ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: أَيَّةَ آيَةٍ تُرِينَا حَتَّى تَفْعَلَ هذَا؟. أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ. فَقَالَ الْيَهُودُ: فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هذَا الْهَيْكَلُ، أَفَأَنْتَ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟. وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ. فَلَمَّا قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، تَذَكَّرَ تَلاَمِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هذَا، فَآمَنُوا بِالْكِتَابِ وَالْكَلاَمِ الَّذِي قَالَهُ يَسُوعُ.» (يو٢:١٨-٢٢).

إنّ قيامة يسوع تُشير إلى حقيقة أنَّه قادِرٌ أن يُقيم الناس اليوم.

يكتب **القديس غريغوريوس النزينزي** بهذا الصدد:

«بالأمس صلبتُ معه واليوم أتمجَّد معه .. بالأمس متُّ معه واليوم أحيا معه .. بالأمس دفنتُ معه واليوم أقوم معه .

– فلنقدِّم لا الهدايا فحسب للذي تألم لأجلنا ثم قام، بل نقدّم **أنفسنا وذواتنا**، فإنها أثمن الهدايا» .

إنَّنا نُرنِّم في كنيسة الرّوم الأرثوذكس ترنيمة النصرة خلال فترة الأربعين يومًا ما بين القيامة الظافرة وعيد الصعود الإلهي المقدَّس فنقول: **المسيحُ قامَ من بين الأموات ووطىء الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور**.

وسيِّدنا لا زال إلى اليوم يَفتَح القبور، ويُعيد الناس إلى الحياة. ليست القُبور الأرضيّة ولكن القبُور التي نبنيها لأنفسنا، القبور التي تذبُل منها الحياة ويصير الكلّ فيها مَيِّتًا.

وعلى سبيل المثال، يوجَد آلاف السكِّيرين السابقين، يستطيعون الآن أن يُكَرِّرُوا الكلمات التي نطَقَ بها واحدٌ منهم:

”كُنتُ سَكِّيرًا، وكنتُ فضيحةً لأُسرَتِي وخِزيًا لنفسي، فَقَدْتُ عَمَلِي وأُسْرَتِي واحترام الناس، والأردأ من كلّ هذا أَنَّنِي كُنتُ على شَفا أن أفقِد نفسي. والآن شُكرًا لِقُوَّةِ يسوع، الآن أنا إنسانٌ مُقام!“. قام هذا الشخص مِن مَقبَرَة السُّكْرِ بقوَّة يسوع المُخَلِّص القائم.

إنَّ القبور التي يَحبِس الناس أنفسهم فيها لا يُحصَى لها عددٌ، والربّ يسوع يحرِّر من هذه القبور ويُعطي نوعيّة جديدة للحياة، هُنا وعلى الفور.

سأل شابٌّ شيخًا: ”لماذا تؤمن بالقيامة؟“

فأجابه الشيخ: ”لأنّني تكلّمتُ مع يسوع هذا الصباح، أنا أعلم أنَّهُ حَيٌّ“

أيُّ إجابة تكون أفضل مِن هذه التي تأتي مِن اختبار شخصي، أنا أعلم أنَّه حَيٌّ لأنَّني كنتُ أتكلّم معه للتوّ! إنّه حيّ ليمنحني رجاءً جديدًا، معنًى جديدًا، قوّة جديدة. بدونه لا توجد إلّا خيبة الأمل واليأس والأبواب المُغلَقة من حولي. معه الحياة:«مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ..» (١ بط ١ : ٣).

العهد القديم في الكتاب المقدس (٨٩)

الفصل الثامن

العودة من السبي (٥٣٨ ق.م.)

اليهود والحُكم الفارسي

الأمبراطوريّة الفارسيّة (٥٥٠-٣٣٠ ق.م.)

قبل حلول منتصف القرن الخامس ق.م. كانت هناك حوادث خطيرة تدور في منطقة الشرق الأدنى، فقد حرَّر كورش الفارسي مملكته من سيطرة مادي (التي تقع في شمال غرب فارس) فصارت مادي تحت سُلطانه وجزءًا من مملكته سنة ٥٥٠ ق.م. ، لكنه منح المادِيين مراكز سامية في الحُكم الفارسي حتى ارتبط **مادي وفارس** معًا (دا ٥:٢٨ ، ١٠:١٣). وأصبحت **عيلام** جزءًا من الإمبراطورية الفارسية، ﴿ وهي تشمل المناطق المعروفة الآن باسم محافظة خوزستان ومحافظة عيلام في إيران إضافة إلى جنوب وشرق العراق في محافظتي واسط (الكوت) شرقًا ومحافظة ميسان (العمارة) جنوب شرق العراق.﴾

وبعد أن تحقّق حُكم كورش على مادي وفارس، وقد انتصر على **ليديا** في الشمال الغربي وَجَّهَ حملة قوّية ضدّ بابل وتحقّق له النَّصر عليها سنة ٥٣٩ ق.م. فسقطت الإمبراطوريّة البابليّة في يده، وأسّس **كورش** الإمبراطوريّة الفارسيّة التي امتدّت من بحر إيجة باليونان غربًا إلى الهند في الشَّرق، وأضافَ ابنه **قمبيز** مصر إلى الإمبراطورية، ودامت الإمبراطوريّة الفارسيّة قرنين من الزَّمان منذ أن أسَّسها **كورش العظيم** إلى أن فتحها **الإسكندر المكدوني** سنة ٣٣٠ ق.م. ، وحَكمها إثني عشر ملكًا وازدهرت فيها عدّة مدن هامة هي:

برسبوليس (٢مك٩:٢) ، **صوصة (شوشن)** (نح١:١ ، أس١:٢)، **أكباتانا (أحمثا)** (عز٦:٢).

وقد تقدّمت إمبراطوريّة فارس على بابل في الإتساع والثروة، وهذا يَظهَر في المباني الفارسية الفخمة، وكميات الذهب والمجوهرات التي اكتُشِفَت هناك وهو يعكس ما جاء في سفر أستير.

وكان الجيش الفارسي مثل الجيش الروماني قائمًا على وحدات تتألّف كلٌّ منها من خمسين جنديًا وكانت هناك وحدة مميّزة وهي الحَرَس الفارسي الخاص الذي كان يرتدي زِيًّا خاصًا، ومن حقه أن يصحب الجنود زوجاتهم معهم، وبسبب وجود المركبات وامتداد الطُرُق عبر الإمبراطوريّة وهو ما ابتدعه الفُرس لأغراضهم الحربية (مثل ما فعله الرومان)، وأنشأوا مخازن في مدن بينها مسافات ليست بعيدة على طول الطريق تُستخدم لإمدادات الجنود من المؤن والعتاد، وكانت الإمبراطوريّة مُقَسَّمة إلى ولايات (عشرون ولاية) يحكم كُلّ منها والٍ تحت حُكم فارس وكل ولاية مقسمة إلى مديريات، واتّبعت فارس ما تسلكه الإمبراطوريات الأخرى في جمع الضرائب والجبايات من تلك الولايات.

اليهود تحت حُكم فارس:

ورثت فارس ممتلكات بابل لكنها اتّبعت سياسة التسامح مع الشعوب التي أخضعتها، فتركت لهم حريّة أن يمارسوا عقائدهم، وكان الأنبياء قد سبقوا وأوضحوا **أمر العودة** من السبي بما لا يَقِلُّ عن نبوءاتهم **بالسبي ذاته**، وكان توقيت العودة مرتبطًا بسقوط بابل (أش١٧:١٤ ، دا ٩:١). وأن ذلك السقوط سيكون بواسطة مادي وفارس (دا ٥:٨)، تنبأ إشعياء عن صاحب قرار العفو نفسه وهو كورش العظيم. «الْقَائِلُ عَنْ كُورَشَ: رَاعِيَّ، فَكُلَّ مَسَرَّتِي يُتَمِّمُ. وَيَقُولُ عَنْ أُورُشَلِيمَ: سَتُبْنَى، وَلِلْهَيْكَلِ:سَتُؤَسَّسُ» (أش ٤٤:٢٨ ، ٤٥:١)، وحدّد إرميا النبي مدّة السَّبْيِ بسبعين سنة (أر ٢٥:٩-١٤)، وتعتبر حادثة عودة الآلاف المسبيين حقيقة فريدة لا مثيل لها في التاريخ، ففي سنة ٥٣٨ ق.م. أصدر كورش مرسوم العفو وفيه يسمح لليهود الذين في بابل بحريّة العودة إلى أورشليم، وإعادة بناء الهيكل (٢ أخ ٣٦:٢٢ ، عز ١:١)، ومنحهم الهبات من الخزائن الملكيّة وأعاد إليهم أواني الهيكل التي اغتصبها **نبوخذنصَّر** ونقلها إلى بابل، ويذهب يوسيفيوس المؤرّخ اليهودي بالظنّ أن اليهود أطلَعوا كورش على النبوءات التي تحدّثت عنه وجاءَت في أسفارهم المقدّسة، وصار كورش هو الفأس التي ذكرها إرميا النبي وتنبأ أنها لسحق بابل (إر ٥١:٢٠)، وتمتعت اليهودية مدّة قرنين من الزمان بحريّة نسبيّة تحت مظلة حُكم فارسي رحيم وليّن، وتُدَوِّن **أسفار عزرا ونحميا وأستير** أحداث القرون الأخيرة من تاريخ العهد القديم وهي فترة بين سنتي ٥٣٨-٤٣٣ ق.م.

إسطوانة كورش الفارسي مُسَجّلٌ عليها قرار عودة اليهود إلى أورشليم وإعادة أواني الهيكل (المتحف البريطاني)